

حلمى النمنم

رسائل الشيخ  
على يوسف

وصفية السادات

ميريت للنشر والمعلومات





حلمى النمنم

على يوسف وصفية السادات  
رسائل الحب ومعركة الزواج

ميريت للنشر والمعلومات

القاهرة ٢٠٠١

**على يوسف وصفيّة السادات**

**المؤلف: حلمى النمنم**

**الطبعة الأولى، ٢٠٠٢**

**(C) ميريت للنشر والمعلومات**

**٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة**

**تليفون / فاكس: ٥٧٥١٥٠٠ (٢٠٢)**

**merit56 @ hotmail. com**

**المدير العام: محمد هاشم**

**الغلاف: أحمد اللباد**

**رقم الإيداع: ٢٠٠١/٢٠٥٢**

**الترقيم الدولى: 977-5938-60-0**

- ١- مقدمة. ٥
- ٢- وقائع الخطوبة والزواج والتفريق ثم الزواج. ٩
- ٣- مدخل إلى الرسائل. ٦١
- ٤- رسائل الشيخ على يوسف إليها. ٧٣
- ٥- أشعار الشيخ على يوسف إلى صفية السادات. ١٤٧
- ٦- رسائلها إليه. ١٤٩
- ٧- صور زكوة غرافية من الرسائل.



---

## مقدمة

هى قصة حب مثل عشرات ومئات القصص التى تولد كل لحظة. وتجربة الحب على غير العديد من التجارب الشعورية والعاطفية التى يمر بها الإنسان، يولد الحب بسيطا وصغيرا.. ربما بنظرة عابرة أو بابتسامة سريعة وكلمة بسيطة، ثم يكبر الحب وينمو ويتسع يوما بعد يوم إن كان صادقا وحقيقيا، وقد تسير تجربة الحب بهدوء وبلا عقبات وبلا اعتراضات، وربما تعرضت لمتاعب ومصاعب وموانع بل ومحرمات، وقد تقضى عليها وتنتهك الموانع، وربما زادت قوتها وصلابة وأعطتها الاستمرار والتواصل.. وهكذا كانت التجارب التى حفظها التاريخ ورددتها مسامع الأجيال، عنبرة ابن شداد وعبرة ابنة عمه، قيس بن الملوح وليلي العامرية، ابن زيدون وولادة بنت المستكفي وغيرها. ويمكن أن نضيف إلى تلك القصص قصة الشيخ على يوسف وصفية السادات.

وإذا احتكنا إلى الكثير من المعايير الموضوعية التي كانت تحكم المجتمع المصري منذ قرن بالتّمام والكمال؛ فما كان لهذه القصة أن تنشأ أو تقع من الأساس. هو رجل متزوج، صحفي معروف ومشهور، له صلاته السياسية العميقة مع حاكم البلاد الخديو عباس حلمي، ومعروف جيدا لدى السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين، وله خصوم سياسيون يبحثون له عن أي خطأ حتى لو كان صغيرا، ومن ثم كان عليه بمعايير الحذر والحصافة السياسية أن يتجنب ما يجلب عليه مواخضة الخصوم الذين يتربصون ويريدون التشهير به أو الانتقام منه.

وبعيدا عن الجانب السياسي والصحفي فقد جاء من قرية بسيطة في سوهاج، من أسرة فقيرة مثل معظم الأسر المصرية آنذاك، ليس في عائلته "عرق" تركي أو شركسي يزهو به، بل هو في النهاية "فلاح"، وهو أيضا لم يتم تعليمه بالأزهر، فلم يحصل على "العالمية" التي كانت تضمن له الانخراط في فئة العلماء والمعممين، وتعطيه وجاهة اجتماعية تغنيه عن عراقة الحسب وجاه النسب، صحيح أن شهرته الصحفية قد غطت جوانب "الضعف الاجتماعي" هذه، لكن ساعة الجد، وحين يتم التفتيش في الملفات ويبدأ التنايز والمكايدة يبرز كل ذلك على السطح، ولا يكون هناك سواه.

أما هي .. صفية السادات، ابنة الشيخ عبد الخالق السادات، حفيد السيد أبي الأنوار السادات الذي عاصر حملة نابليون على مصر وصعود محمد علي إلى حكم مصر. أسرة تضارع بل وتفوق من هذه الناحية الأسرة العلوية، أيام علي يوسف كانت الأسرة العلوية على وشك أن تتم قرنا من عمرها،

بينما كانت أسرة السادات قد اقتربت من ثمانية قرون.. وكان الشيخ عبد الخالق يمتلك الكثير من الأطيان والعقارات.. ولذا فحين ترتبط ابنته فالمتوقع أن ترتبط بأحد أفراد أسرة من تلك الأسر الشبيهة بأسرة السادات، وليست أسرة بسيطة من قرية "بلصفورة" في سوهاج".

لكنه الحب .. الذى يتدخل بالمصادفة البحتة ليسقط كل الحواجز الاجتماعية والمحاذير السياسية ومعايير الحسب والنسب والجاه. ويبقى على عنصر الاختيار الشخصى ورغبة كل طرف فى الآخر وتمسكه به وحرصه عليه.. وهكذا كان "الحب" بين على وصفية ، ونما بينهما وازدادت الأشواق واللهفة والاحتياج ولم يكن الاتصال سهلاً وميسوراً كما هو الآن بين المحبين، فقامت الرسائل الغرامية بدور رسول الحب وحامل المشاعر والعواطف.. ثم تطور الحب إلى الخطبة وعند إتمام الزواج برزت المعايير الاجتماعية وموازين الحسب والنسب والجاه.. وعرف المجتمع المصرى معركة قاسية وشرسة، اختلط فيها نبل المشاعر وصدق العواطف مع النفاق الاجتماعى، وانتصر اختيار المشاعر والعواطف فى نهاية الأمر. ورغم مرور قرن من الزمان على ميلاد تلك القصة، فإن بعض أسرارها ومواقفها لا تزال صالحة لأن نقرأها اليوم ونطالعها .. أما الرسائل العاطفية التى حملت تلك المشاعر، فهى تعلن وتنتشر للمرة الأولى.



---

# وقائع الخطوبة والزواج والتفريق

## ثم الزواج



---

فى صيف سنة ١٩٠٤ كان كل شىء هادئاً فى القاهرة.  
الخديو عباس حلمى وأعضاء حكومته يديرون البلاد من  
الإسكندرية على شاطئ البحر المتوسط، حيث لا يحتفلون  
حرارة صيف القاهرة.

المندوب السامى الإنجليزى والحاكم الفعلى للبلاد لورد  
كرومر عادة ما يسافر خارج مصر فى الصيف أيضاً، فتخف  
قبضته قليلاً وتتفلس البلاد الصعداء بعض الشئ، وفى تلك  
الفترة كان الصراع بين الخديو واللورد قد بدأت تخف حدته،  
واتجهت الأمور بينهما إلى نوع من المهادنة.. وهكذا كانت  
القاهرة تمر بأيام خمول حتى منتصف شهر يوليو ١٩٠٤ حيث  
بدأت مصر كلها تهتز على صوت انفجار أخذ يزداد قوة  
واتساعاً يوماً بعد يوم، وزاد من حرارة الصيف وأصاب  
الجميع بالقلق والأرق.

بدأ الانفجار بخبر صغير فى جريدة المقطم - عدد  
الجمعة ١٥ يوليو - يقول إنه بعد ظهر الخميس - ١٤ يوليو -  
عقد قران الشيخ على يوسف على إحدى كريمات الشيخ عبد  
الخالق السادات. يوم الجمعة لم تكن جريدة "المؤيد" تصدر،  
وكان صاحبها ورئيس تحريرها هو الشيخ على يوسف نفسه  
وفى اليوم التالى مباشرة - السبت ١٦ يوليو - نشر "المؤيد"  
الخبر فى باب "حوادث محلية". جاء الخبر على النحو التالى  
"جرى بعد ظهر يوم الخميس الماضى عقد قران صاحب هذه  
الجريدة بإحدى كريمات حضرة صاحب الفضيلة الحسين  
النسيب السيد عبد الخالق السادات فى حفلة قاصرة على بعض

---

العلماء والأخصاء ، وقصدت العروس الكريمة بعدئذ المنزل المعد لها في جهة الظاهر حيث تمت رسوم القران..".

ونلاحظ أن الخبر لم يشر إلى اسم العروس، فلم يكن مألوفاً ولا مقبولاً أن يذكر اسم "كريمات العائلات" والأسر على الملأ، ومضمون الخبر يوحي أن الزواج تم كأي زواج عادي، وأنه لم يتم احتفال كبير بهذه المناسبة ، بل كان احتفالاً ضيقاً واقتصر على الأقارب "الأخصاء" وعدد من علماء البلاد كما يليق بزفاف صاحب المؤيد وابنة الشيخ السادات.. ولم يعين خبر المؤيد اسم واحد من الحضور، ولا مكان عقد القران ، وحاول الخبر أن يبرز إعداد منزل خاص للعروس في حي الظاهر، وهو آنئذ واحد من أحياء القاهرة الراقية.

لم يكن أمر الزواج بسيطاً وهادئاً كما يوحي خبر "المقطم" ومن بعده خبر "المؤيد"، ففي اليوم التالي مباشرة لنشر خبر المؤيد، نشر "الأهرام" و"اللواء" بياناً من الشيخ السادات - الأحد ١٧ يوليو - تعليقا على ما نشر بالمقطم والمؤيد جاء فيه: "إنه قد صار عقد قران كريمتنا وتأهلها بصاحب جريدة المؤيد. وحيث إن ما ورد بهما من حضور العلماء والأخصاء الموهوم أن ذلك بإطلاعنا ورضانا مع أن ذلك محض اختلاق، لأن ذلك كان بمنزل السيد محمد توفيق البكري بدون علمنا ورضانا، ولذلك أبلغنا جهات الاختصاص".

وقال الشيخ السادات للأهرام "صار إشعار جهات الاختصاص بذلك وسترفع الدعوى الشرعية غدا بطلب التفريق وما يلزم.

---

وجهات الاختصاص هنا هي النيابة العامة، حيث قدم الشيخ السادات بلاغا يتهم على يوسف بأنه اختطف ابنته، ولم تجد النيابة ما يؤيد هذه البلاغ، حيث إن عقد الزواج تم بالشكل الشرعى والرسمى، ووقعه مآذون وحضره شاهدان ومن ثم حفظ البلاغ.

وبدأت الصورة تتكشف أكثر، فقد نشر الأهرام مع بيان الشيخ السادات معلومات أكثر على لسان السادات يقول "على ما علمت من السيد توفيق البكرى أنه - على يوسف - حضر بمنزل السيد البكرى وأجرى العقد بدون علمى ورضائى وعلم أحد من الناس، بل إنه لم يُعلم أنه حضر ذلك العقد شخص من الأشخاص".

لم يكن السيد توفيق البكرى مجرد عميد بيت السادة البكرية فى مصر فقط، ولكن كان زوج ابنة الشيخ السادات الكبرى "حفيظة"، أى أن عقد القران تم فى أحد بيوت الأسرة، والحقيقة أن الشيخ السادات ما كان له أن يفاجأ، فقد نشرت جريدة اللواء - لسان حال الحزب الوطنى ورئيس تحريرها هو الزعيم مصطفى كامل - فى عدد ٢٠ يوليو رسالة وصلتها، ولم تنشر اسم صاحبها واكتفت بالقول "الإمضاء محفوظ"، جاء فى الرسالة أن مفاوضات طويلة تمت بين على يوسف والشيخ السادات لإتمام الزواج، كان على يوسف قد خطب منه ابنته، لكن السادات كان يتعلل بأن الوقت غير مناسب، وإن لم يفسخ الخطبة. وبعد هذه المحاولات تقول الرسالة ".. عزم أصحاب الشأن فيه أن يتموه بلا توقف على أمر فضيلة السيد السادات،

وأن يعقدوه في بيت آخر، فلما علم سماحة السيد البكرى بادر وأخبر السيد السادات به ونصح به بأن يحسم هذه المسألة بلا تردد إما بمنع أو قبول، ثم قابله مرة أخرى وكلمه بهذا المعنى وقال إنه بلغه أنه يراد أن يكون العقد في منزله، فإذا لم يحتط لمنع ذلك وحضروا عنده لا يمكن أنه ياباه حفظاً لكرامة السيد". وواصلت الرسالة القول إن الشيخ البكرى لم يتوقف عند هذا الحد ولكن "أرسل له بعد أيام الأستاذ الشيخ "محمد راضى" يشرح له المسألة بهذا التفصيل، ولكن يظهر أن السيد السادات كان لا يصدق ما يقال له، فلم يعطه ما يستحق من الأهمية..".

ونشر الأهرام "فى نفس اليوم - ٢٠ يوليو - أن الشيخ السادات رفع بالفعل دعوى قضائية طلب فيها التفريق بين كريمته والشيخ على يوسف. ووصف الأهرام الزواج بأنه تم "خلسة دون رضا أهلها"، وقال الأهرام إنه إذا حكم لصالح السادات فإن على يوسف قد يواجه قضية جنائية بتهمة اختطاف ابنه السادات.

تحدد اليوم التالى مباشرة - ٢١ يوليو - لنظر القضية أمام المحكمة الشرعية: فى صباح نفس اليوم نشر المؤيد كلمة مطولة على عمود بعنوان "مستلثا والسيد السادات.. انطوت الكلمة على تقدير رفيع من على يوسف للسيد السادات، وأمنيته بأن يتوقف الأمر عند هذا الحد، ويرجو رضا حميه عن الزواج.

عقدت المحكمة برئاسة الشيخ أحمد أبو خطوة، ونقلت الصحف ما جرى فيها، وزادت "اللواء" على الوصف بالقول

.. علمنا من طريق آخر أن المحكمة الشرعية تجرى تحقيقا دقيقا مع المأذون والشهود والشيخ حسن السقا خطيب الأزهر وهو الوكيل عن المعقود عليها حيث قيل إن العقد لم يستوف شروطه الشرعية والنظامات الإدارية.. "وأعادت اللواء التذكير بما سبق للأهرام أن نوه به وهو أنه إذا حكم لصالح السيد السادات كان وراء هذه القضية الشرعية قضية أخرى جنائية، أى إذا ثبت بطلان الزواج وحكم بالتفريق؛ سوف توجه إلى الشيخ على يوسف تهمة اختطاف فتاة والتغريب بها.

اجتمعت هيئة المحكمة وترافع فيها حضرة الشيخ عثمان الفندى عن السيد السادات، وترافع السيد حسن بك صبرى عن على يوسف - سيصبح رئيسا للوزراء فى عهد الملك فاروق وهناك شارع باسمه فى الزمالك - وفى الجلسة الأولى - كما هى العادة - أجلت هيئة المحكمة النظر فى القضية، ولكنها أصدرت قرارا مستعجلا: "قررنا بالحيلولة بين الشيخ على يوسف والسيدة صفية المذكورة وتسليمها لأبيها ، وشمطنا هذا القرار بالنفاذ المعجل.."

كانت هذه هى المرة الأولى التى يرد فيها ذكر اسم "صفية" ، فلم يعد يجوز الاكتفاء بالإشارة إليها بكنية "كريمة السادات" .. فقد أصبحت طرفا أصيلا فى القضية أمام المحكمة. كان الراى العام يتابع القضية باهتمام وشغف شديدين، وكما ذكرت اللواء والأهرام فإن قاعة المحكمة لم يكن فيها موضع لقدم. كانت القضية حتى صدور قرار المحكمة بالحيلولة بين الزوجين مجرد نزاع بين طرفين، رغم ما يمثل كل طرف

منهما اجتماعياً، ولكن بصدور هذا القرار لم تعد القضية كذلك، فسوف تتدخل فيها الأهواء والمواقف السياسية وتصفية الحسابات، وسوف تدخل فيها الأجهزة الحكومية والرسمية طرفاً . باختصار خرجت القضية من يد الشيخ السادات وخصمه على يوسف وقرينته.

أرسلت المحكمة قرارها إلى الجهة الإدارية "المحافظة" للتنفيذ العاجل، وصدر الأهرام في ٢٢ يوليو ليقول "صدر أمر المحافظة إلى الباشمعاون وإلى معاون آخر وإلى يوزباشى من ضباط البوليس و ١٥ عسكرياً بالذهاب إلى منزل العروس فى الظاهر لإنفاذ الحكم...".

تحركت هذه القوة الضخمة لانتزاع صفية من زوجها وتسليمها إلى والدها، وصلت القوة إلى منزل الظاهر، فأخبرهم "البواب" أن "الست صفية" خرجت من البيت، فعادت القوة من حيث أتت ولم ينفذ الحكم، وظهر لدى رجال المحافظة تصور جديد وهو أن تنفيذ حكم التفريق ليس من اختصاصهم. ونقلت "الأهرام" وجهة نظرهم الجديدة على النحو التالى "الأحكام الشرعية التى يجب على المحافظة إنفاذها هى أحكام النفقة والإطاعة للزوج، ولم تذكر نصوص الأوامر العالية وجود إنفاذ حكم الحيلولة بين الزوجين لوجود الشك بصحة زواجهما أو بالكفاءة".

ببساطة فإن المحافظة ليست هى المعنية ولا المختصة بتنفيذ قرار المحكمة!!

"صفية" نفسها حين علمت بقرار المحكمة، تركت بيت الظاهر. وقال الأهرام "عرفت العروس مآل الحكم فخرجت من

منزلها حتى لا تفاجأ بالقوة الإكراهية على العودة إلى بيت هجرته وأب عصته وعملت بإرادتها وهواها ودون إرادته.. لم تكتف صفيه بذلك، ولكنها اتخذت موقفاً قانونياً كشف عن تمسكها بزوجها ورفضها لما يقوم به والدها، فقد استشكلت في القرار لأنها لم تعلم بالجلسة ولم تعلن بها ولا بالقضية ولا وكت محامياً عنها، وأرسلت إلى وزير الحقانية بالإسكندرية برقية بهذا المعنى، هذا نصها..

سعادتلو أقدم ناظر الحقانية بسان استيفانو

احتج بقوة على هذا القرار لأن الدعوى سمعت في غيابي وبلا أذار سابقة، ولأنه قضى بتسليمي لوالدي الذي هو خصمي في الدعوى والذي أخشى من عواقب رجوعي إليه. كما أرسلت صفيه برقية أخرى إلى قاضي القضاة، الذي تتبعه المحكمة الشرعية التي تنتظر القضية، قالت فيها "إنني ما أخذت سعادة الشيخ على يوسف زوجا لي إلا لعلمي أنه خير كفاء لي حسبا ونسبا وصاحب ثروة ومقام كبير في الهيئة الاجتماعية. وحيث أنني بالغة رشيدة مالكة لأمر نفسي فلي الحق المطلق أن أتزوج بمن أراه أهلا لي من كل وجه، وهو الحق الذي أعطته الشريعة الإسلامية لكل مسلمة بالغة رشيدة. والحق الذي أعطاه الله لي لا يمكن أن يسلبه مني أحد..". وأضافت صفيه في البرقية قائلة "اعلم يا مولاي أنني راضية بزوجي، راغبة فيه، لا أختار سواه بديلا عنه مهما كان الأمر. وقد تزوجته بمحض رغبتى واختياري بإيجاب وقبول شرعيين ومهر قبضته كما هو مسمى في وثيقة العقد..".

---

وانتقدت صفية والدها في هذه البرقية قائلة "والدى الذى طالما رد الأكفاء عن بناته ولم يرع حق الله فيهن..".

تحدد البرقيتان موقف صفية بوضوح فى القضية وهو:

- أولاً: أنها بالغة رشيدة مسئولة عن نفسها، ولها الحق المطلق فى اختيار من تتزوجه - أى أنه ليس لوالدها الحق فى أن يختار لها.

- ثانياً: أن هذا الحق قرره الشريعة الإسلامية لكل مسلمة بالغة رشيدة، وليس لأحد - والدها أو المحكمة - أن يسلبها ما أعطاه الله.

- ثالثاً: أنها لم تختار الشيخ على يوسف زوجاً إلا بعد أن تيقنت من أنه كفء لها من جميع الوجوه.. الحسب والنسب والثروة والوضع الاجتماعى .

- رابعاً: أنها راضية بهذا الاختيار ولن تتراجع عنه ولا تقبل له بديلاً.

- خامساً: أنها طرف أصيل فى القضية، ومن ثم كان يجب أن تعلم بالجلسة ولا تنتظر فى غيابها.

- سادساً: أن والدها هو الخصم فى القضية وما كان يجب أن يتم تسليمها لخصمها خاصة وأن القضية لم يفصل فيها بعد.

وسواء كانت هى التى كتبت البرقيتين أم أن المحامى هو الذى صاغهما، فإنهما وثيقتان، ولا نعرف قبلها فى تاريخنا الحديث، وثيقة تحتل توقيع سيدة تعبر فيها عن حقوقها بإزاء والدها وأسرته وإبازاء المجتمع فى الاختيار لنفسها واتخاذ

---

قرارها، بأوضح وأنصع مما عبرت عنه صفية السادات في هذا الموقف.

ابتعدت صفية عن بيت زوجها في الظاهر.

أما الشيخ على يوسف نفسه فإنه - كما نشرت "اللواء" - سافر إلى الإسكندرية عقب صدور قرار المحكمة، والتقى بسعادة "بطرس باشا غالى" وزير الخارجية والنائب عن سعادة ناظر الحقانية. كان ناظر الحقانية "إبراهيم باشا فؤاد" في رحلة إلى لندن وكان يتولى شئون الوزارة في غيابه بطرس غالى.. وبحديث على يوسف مع بطرس غالى، أخذت القضية منحى جديداً في الصحافة. فـ "اللواء" صوت الحزب الوطنى حصرت الأمر فى أن مسيحيا هو "بطرس غالى" يتدخل فى أمر من أمور "الشريعة الإسلامية". ورأى رجال المحكمة الشرعية أن الحقانية ومن ثم الحكومة تتدخل فى أمور القضاء الشرعى الذى يتبع فى النهاية قاضى القضاة فى استانبول - كانت مصر حتى ذلك الوقت ما تزال رسمياً - تتبع السيادة العثمانية.

وهكذا تداخلت الخيوط وصارت قضية الزواج تبحث بين القاهرة والإسكندرية ووصلت إلى استانبول ولندن حيث يوجد وزير الحقانية وأيضاً لورد كرومر.

هنا خرج على يوسف عن صمته وتصوره أن الأمر يمكن أن تتم تسويته بهدوء وترضية الشيخ السادات، فكتب مقالا مطولا فى المؤيد بنفس العنوان الذى كتب به من قبل وهو "مستلبا والسيد السادات" .. حكى فى هذا المقال القصة مع السادات منذ بدايتها قال: "خطبنا من حضرة فضيلة السيد

السادات كريمته منذ أربع سنوات ، فأجاب بالقبول ، وخاطبه في هذا الشأن بين حين وآخر بعض الكبراء والعلماء والأعيان؛ فكان يردد جواب القبول ويرجى وقت الإنفاذ إلى زمن أوفق..". وأضاف قائلا "ومنذ سنة وبضعة أشهر قدمت له جملة من المجوهرات باسم النشان (الشبكة) فقبلها وحفظها عنده إلى الآن، ثم بعد أسابيع قدمت له المهر على يد موظف كبير من رجال الحكومة؛ فقبله في جمع من الناس على أنه مهر وحفظه عنده حتى هذه الساعة..".

لم يقف الأمر عند النشان والمهر بل يقول "وبعد هذا وذاك هاديته بما جرت عليه المهاداة به من الخاطبين فتفضل بقبول ذلك كما قبل المهر والنشان وغيرهما..". ويبدو أن على يوسف كان يسعى لاسترضاء السادات بشتى الطرق، يقول: "سافرنا إلى أوروبا في العام الماضي فلزمت خطة سفره التي كانت تخالف خطتي المقررة من قبل، ليستريح ولو تعبت كما يليق بالصهر مع حم مثله، وعدنا من أوروبا فعدنا إلى طلب تحديد يوم العقد وعاد هو إلى المطل والتسويق مع الجواب الإيجابي لكل مخاطب له في هذا الشأن".

اتجه على يوسف بعد ذلك في المقال إلى الرد على منتقديه حول الطريقة التي أتم بها الزواج قائلا "والذين يرون أن العدول عن مصاهرته بعد ذلك التاريخ الطويل العريض كان لابد أن يعرض كريمته التي ارتبطنا معها برباط الخطبة، والتي أظهرت رغبة تامة في أن لا تكون مثالا ثانيا بعد ذلك المثال الذي يعرفه كل من سمع بقضايا حضرة عثمان بك أبى

---

زيد مع فضيلة والدها إلى السقوط في مهواة اليأس، فكان علينا دين آخر من المروءة يعوض ما يمكن أن يكون قد فاتنا بالعدول عن تلك الطريقة المألوفة.. وينتهي إلى القول "بعد هذا كله وجدنا أنفسنا بين امرين رجحنا أحدهما وأنفذنا العقد في بيت أقرب قريب لبيت السادات." والعبارة الأخيرة تكشف عن أن السادات لم يكن يريد أن يتم الزواج ، وأنه كان يعول على أن يياس على يوسف ويفسخ الخطبة، ولكن اليأس أدى إلى العكس وهو إتمام الزواج بالطريقة التي حدثت.

وعلق على يوسف في مقاله على قرار القاضي بالقول .. "إننا وإن انتقدنا صدور القرار بالصفة التي صدر عليها؛ فإننا نعتزف علنا بأن حضرة القاضي الفاضل الذي أصدره من أذكى رجال القضاء الشرعي وأعلمهم بوظيفته لا نرميه بتحاميل ولا تحيز، ولكن ما صدر منه قد يحملنا على الظن بأنه كان مدفوعاً بعامل التأثير وانفعال الشعور الذي تلقى به كثيرون هذه الحادثة غير المألوفة، ممن لم يقفوا على دخالها منا أو من غيرنا.

في اليوم التالي مباشرة كتب على يوسف مقالاً آخر تحت نفس العنوان "مستلتنا والسيد السادات" .. هاجم فيها منتقديه ، والذين يتحدثون عن عدم كفاءته لمصاهرة السيد السادات، وحدد انعدام التكافؤ بحالات معينة ليس بينها حالته ، يقول "كان تتزوج بخادم أو ذي حرفة دنينة يعتبرها العرف خسيصة كصناعة الأحذية والدباغة والحيافة وأمثال هذه الحرف المنحطة، فإن حكم الشريعة الإسلامية الغراء في ذلك أن العقد

---

يقع باطلاً أو موقوفاً حتى لا يلحق العار من لم يرض من الأولياء العاصيين بالرغم عنه.."، وهذا يعنى أن على يوسف كان يتعامل بنفس المنطق الذى يتعامل به السادات، فهو يرى أن هناك مهناً وحرفاً منحطة ليس بينها حرفته، وأن هناك أزواجاً لا يكونون أكفاء لزوجاتهم، وهو ليس واحداً منهم!! ويتضح ذلك فى بقية المقال حيث يخاطب السادات مقارناً بينهما بالقول "نحن سواء طبعاً فى الإسلام والحرية. أما الشرف فبالطريقة التى يمكنك أن تثبته لنفسك؛ نستطيع نحن ويظهر للعالم أننا كلانا شريف حسينى علوى".

هذا عن الشرف أم عن الثراء فقال "وأما الثروة فبالطريقة التى نتوصل بها إلى بيان بسطة مالك نتوصل نحن . "واستكمل تفنيده لادعاءى السادات قائلاً "وأما الحرفة فكلانا عضو فى الجمعية العمومية. أنا من قبل الأمة وأنت من قبل الحكومة والأمة أصل والحكومة فرع".

اعتبر على يوسف عضوية "الجمعية العمومية" حرفة، ولم يقترب من حرفته الأساسية "الصحافة" والتى اعتبرها السادات مهنة غير محترمة، وبدا على يوسف وكأنه عاجز عن الدفاع عن مهنته أمام هجوم وازدراء السادات.

وخرجت اللواء لتعلن أن الراى العام ينتقد الطرفين السادات وعلى يوسف، حيث قالت "وقد أصبح انتقاد هذه المسئلة فى جميع الأندية شاملاً لوجهيها لأنها من الضربات المؤثرة على الأخلاق الاجتماعية. وأقل ما فيها من المضار فتح طريق جدير للفتيات اللاتى يحجم أبوهن عن التسرع فى

---

زواجهن عندما يتقدم لخطبتهن غير الأكفاء. وفي ذلك من الآلام للأبء ما يزيد أنينهم من حين إلى حين".

كل هذا الجدل وقرار المحكمة بالحيلولة بين الزوجين إلى حين الفصل فيها لم ينفذ بعد، وتاه الموضوع في الإجراءات والروتين الحكومي، فبعد أن توصل المسنولون بالمحافظة إلى أن تنفيذ القرار ليس من اختصاصهم أرسلوا إلى نظارة الداخلية يسألون في كيفية التنفيذ، والداخلية بدورها فوجئت بالقرار وبالسؤال، وهكذا أرسلت الداخلية تسأل الحقانية (العدل) والحقانية خاطبت ناظرها بالإسكندرية. ولما كان ناظر الحقانية في لندن، فقد جاءهم الرد واضحاً بأن التنفيذ ليس من اختصاصهم ، لأنه لا يوجد نص قانوني بذلك.. ولم يجد قرار المحكمة من ينفذه . وانتقد الأهرام - ٢٧ يوليو - موقف المحافظة والحقانية بالقول "إذا كان النص غير موجود، فعدم وجوده لا يعد حجة معقولة لحفظ الحكم".

في نفس اليوم - ٢٧ يوليو - كان مقرراً أن تتعقد المحكمة لنظر القضية، ولم يكن قرار الجلسة السابقة قد نفذ. انعقدت المحكمة بنفس أعضاء هيئتها، وفي بداية الجلسة أعلن القاضي الشيخ أحمد أبو خطوة أنه ينظر هذه القضية باسم قاضي القضاة "شخصياً والذي كان من المقرر أن يحضرها بنفسه ولكن ظروفًا صحية طارئة منعتة من ذلك، وأرسل قاضي القضاة إلى الشيخ أبو خطوة رسالة طلب فيها أن يتوقف عن نظر القضية، وأن تتوقف المحكمة عن نظر أي قضية أخرى إلى حين تنفيذ قرار الحيلولة. وعلى هذا أعلن أبو خطوة

---

"قررت إيقاف السير في هذه القضية لأجل غير محدد وحتى ينتهى فضيلته مع جهة الإدارة في ذلك".

كان معنى هذا القرار أن المحكمة قد أضربت عن العمل، وتعدت القضية بعد ما تردد عن أن قاضى القضاة سوف يوقف العمل بكل المحاكم ما لم ينفذ قرار الحيلولة.. وذكّرت "اللواء" أن الهتافات عمت المحكمة حين أصدر القاضى قراره، وقالت أيضا "أكبرنا هذا الحادث لأنه يتعلق بأهم قضية سيكون الحكم فيها قاعدة لنظام البيوت والعائلات وقاتلا لجرائم العهر والتبذل ومخالفة الآداب القومية والعادات العائلية..". وأعادت اللواء انتقاد موقف بطرس غالى - القائم بعمل ناظر الحقانية - فى القضية، بالقول "أكبرنا هذا الحادث العظيم لأن الذى رفع إليه واحد من وزراء مصر لا يدين بالإسلام وقد عهد إليه بأعمال الحقانية وكان ينتظر من رجل سياسى مثله أن يقوم فى وجه الإدارة ويخطئ عملها".

ولم يفت "اللواء" أن تنوه بأن قاضى القضاة لا يخضع للحكومة المصرية ولا للخديو نفسه، وليس للدولة المصرية أى سلطان عليه بل هو يتبع السلطان العثمانى نفسه فى إستائبول". قالت "ومعلوم أن فضيلته فى مركزه الشرعى نائب عن جلالة الخليفة الأعظم وهو مركز تؤيده الأمة بأسرها.. وقالت أيضا "ليست قضية رجل وامرأة بل قضية قطر برمته" وذهبت "اللواء" إلى أن عدم تنفيذ قرار المحكمة يعنى أن الإرادة الإلهية معطلة فى مصر، الأمر الذى استفز السيد رشيد رضا فخرج لينتقد اللواء ويوبخ مصطفى كامل فى "المنار" بالقول "لو جاز

---

أن تكون الإرادة معطلة لجاز أن تكون القدرة كذلك، لأن القدرة تتعلق بما تتعلق به الإرادة قطعاً، لكن جريدة اللواء تجعل الإرادة الإلهية بمعنى الإرادة السلطانية . وذهب "الأهرام" - عدد ٢٨ يوليو - إلى القول "لم نطالع فى قانون ولا وقفنا فى دستور ولا عرفنا فى نظام أن لناظر الحقائق أن يوقف حكماً صادراً من محكمة حرة مستقلة".

كانت "صفية السادات" فى تلك الأيام تقيم فى بيت الشيخ عبد القادر الرافعى أحد شيوخ الأزهر الكبار ، وتدخل على يوسف محاولاً حل هذه المشكلة ، بأن أرسل برقية إلى زوجته يطلب فيها أن تعود إلى بيت والدها ، ويخبرها أن الشيخ الرافعى نفسه "يتكفل بإيصالك إلى بيت أبيك وأخذ التعهد اللازم عليه أن لا يصيبك مكروه"، ونشر على يوسف نص البرقية إلى زوجته فى المريد ، كما أرسل برقية إلى الشيخ الرافعى يذكر له فيها "٠٠ أشير عليها بالرجوع إلى بيت أبيها مختارة حلاً للإشكال القائم بين الحكومة والمحكمة..". ومن جانبه وافق الشيخ الرافعى على أن يقوم بالمهمة ويذهب بصفية إلى بيت والدها، ويكون بذلك قد نفذ قرار القاضى ، وينتهى إضراب المحكمة لكن صفية السادات هى التى رفضت هذا الاقتراح، وتحدث إليها الشيخ الرافعى فى أن تقبل رأى زوجها، ثم تحدث إليها الشيخ حسونة النوادى - وكان من قبل شيخاً للأزهر - وحدثها أيضاً شيخ الأزهر، وكان ردها عليهم "٠٠ توجهتم أنتم الأربعة قبل ذلك وأجابكم بقبول إقامتى فى منزلك - الشيخ الرافعى - ثم كتب للجراند يكذب أنه رضى بإقامتى

---

وأنه لا يزال يطلبنى بالقوة العسكرية، فما شأن ضمانتكم عنده بعد ذلك..". ثم قالت "إن الموت أهون عندى من رجوعى لمنزل والد إن غضب لا يبالى بما يفعل".

وتأزمت المسألة أكثر وأكثر.. وبدأ وكأن الأمور وصلت إلى نفق مسدود، فالمحكمة تصر على تنفيذ قرارها حرفياً، وصفية ترى أن العودة إلى منزل والدها دونه الموت...!!

ومع اشتداد الأزمة وإضراب المحكمة، كان لابد أن يحدث تدخل على أعلى مستوى، ومن الإسكندرية طلب الخديو عباس حلمى ملف القضية بكامله لدراسته، وجرت اتصالات بوزارة الخارجية البريطانية فى لندن للتباحث فى حل لتلك الأزمة، واتفق على أن تتدخل الحكومة لتحقيق حل وسط وهو أن تقبل المحكمة إقامة صفية فى بيت الشيخ عبد القادر الرافعى، وأن يعتبر ذلك تنفيذا للحكم بالحيلولة بين الزوجين انتظاراً إلى أن تفصل المحكمة فى دعوى التفريق، ووصل إلى القاهرة من الإسكندرية نائب ناظر الحقانية "عثمان بك مرتضى" ومعه ناظر أقلام النظارة، ودعى إليه "الشيخ محمد بخيت" من المحكمة العليا، واتفق معه على أن تبقى صفية لدى الرافعى، وذهبوا بذلك إلى قاضى المحكمة الشيخ أبو خطوة وسعادة عبد الرحمن فودة المفتش الأول بالمحكمة واجتمعوا، وكما يقول أحمد شفيق باشا فى "مذكراته" قرروا تعديل قرار الحيلولة من ضرورة إرسالها عند والدها إلى إيقانها مع الحيلولة عند رجل مؤتمن، وحيث إن الشيخ الرافعى الذى هى

عنده - رجل مأمون، لهذا لم يروا مانعا من بقائها طرفه<sup>(١)</sup>..".  
من الناحية الإجرائية اتفقوا على أن يقوم تنفيذ القرار  
وفقا لنص المادة ٩٣ من القانون والتي تجعل المحافظة ترجع  
إلى المحكمة نفسها وليس إلى نظارة الحقانية في أمر التنفيذ..  
وذهبوا إلى قاضى القضاة بهذا الاتفاق فوافق عليه ، وانتهت  
الأزمة. وجرت جلسة عتاب بين عثمان بك مرتضى وأبو  
خطوة، وقال مرتضى إن ما نسب إلى الحقانية والحكومة من  
أنها ضد تنفيذ القرار، وأنه يجوز للمحافظة أن تنفذ أو لا تنفذ  
غير صحيح ، وانتقد مرتضى المحكمة والقاضى وكذلك قاضى  
القضاة الذى اتخذ قرارا بالتوقف عن نظر القضايا بناء على  
روايات الصحف، فاعتذر أبو خطوة بأن المحكمة إنما فعلت  
ذلك مضطرة ومكرهة بعد أن تم تداول الأمر فى الصحافة.

وصفا الموقف بين المحكمة الشرعية والحكومة  
وعادت المحكمة إلى العمل. لكن الأزمة لم تكن قد انتهت  
بالنسبة للرأى العام فى مصر، حيث امتلأت القاهرة بشائعات  
عديدة ومختلفة، وقد وجدت هذه الشائعات طريقها إلى صفحات  
الصحف، مثلا تردد أن الشيخ على يوسف طلب تدخل الخديو  
عباس حلمى لصالحه فى القضية لدى المحكمة، فخرج "المؤيد"  
لينفى هذا الكلام برمته، جاء فى المؤيد "يقولون إن أعلى مقام  
فى مصر تدخل لأجله - على يوسف - وأكثر من التداخل،

---

(١) راجع أحمد شفيق باشا، "مذكراتى فى نصف قرن" الجزء الثالث.  
صفحة ٦١، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب. سلسلة تاريخ  
المصريين / ١١٥.

ولكنهم يزعمون أنهم رفضوا هذا التداخل وأبوه...".

وخرجت "اللواء" أيضا لتتفى الإدعاء بتدخل الخديو في القضية أو الإنجليز، وزادت في أن "عصبة" الشيخ على يوسف نفسه هم الذين يروجون تلك المزاعم، للإيحاء بأن المحكمة ستتصفه وتحكم بصحة عقد الزواج، أو للتأثير على المحكمة الشرعية. وفي المقابل تردد أن الشيخ عبد الخالق السادات حين وجد الخديو ومن ورائه الحكومة في انحياز تام للشيخ على وصفية، لجأ إلى ملك إنجلترا، الملك إدوارد، طالبا تدخله في القضية لإنصافه بإعادة ابنته إليه وتفريقها عن زوجها، وكانت الشائعة قوية إلى حد أن الشيخ السادات، خرج لينفى تماما أن يكون قد طلب تدخل ملك الإنجليز في قضيته، وأكد ثقته المتناهية في أن المحكمة ستحكم بالحق، والحق هو ما يطلبه وما يريده!! ويرى فتحى رضوان أن الإنجليز هم الذين كانوا يحركون السادات لإحراج على يوسف والانتقام منه لموقفه المعادى في "المؤيد" من احتلالهم مصر ولصداقته الحميمة والخديو عباس حلمى الذى يكره كرومر والاحتلال<sup>(١)</sup>، وقد يكون ذلك صحيحا خاصة وأن صفية لم تكن وحدها هي التي تركت المنزل فقد صحبتها - كما تروى السيدة بثينة على يوسف - شقيقتها "أسماء" التي عقد قرانها في نفس الوقت ودون علم والدها من السيد عبد الحميد البكرى ابن شقيق السيد توفيق، ومع ذلك صمت السادات تماما عن أسماء.

---

(١) فتحى رضوان "نور العمام في تاريخ مصر الحديث". مجلة الدوحة - عدد فبراير ١٩٨٣.

وأخطر الشائعات تلك التي ترددت حول أن الشيخ على يوسف يتردد يومياً على زوجته في منزل الشيخ الرافعي، وأنه يشاهد كل يوم في آخر الليل في طريقه إلى بيت الرافعي خفية، كما يشاهد عند خروجه - خفية أيضاً - من ذلك المنزل عند الفجر أو في الصباح الباكر، وقالت الشائعات إن على يوسف يرسل كل يوم خادماً بالطعام والملابس من بيته إلى بيت الرافعي، وأخذت بعض الصحف تردد هذا الكلام الذي جاء برد فعل بالغ السوء على الشيخ الرافعي، وكان معناه سينا في نظر المجتمع، ووصل الأمر - كما ذكر الأهرام في ٢٩ يوليو - "أن الآلاف من الأهالي قد اجتمعوا حول بيت الشيخ الرافعي ونددوا به وبقبوله هذا الأمر، مما أصابه بأضرار صحية ونفسية..". وقالت اللواء - ٣٠ يوليو - "أصيب الشيخ الرافعي باحتقان دموي في الرأس..". ويبدو أن الجميع استشعر حرج موقف الرافعي، وأنه هو الذي أنقذ الموقف خاصة بعد إصرار المحكمة على قرارها، وإصرار صفية على أن لا تعود إلى منزل والدها كما تريد المحكمة خاصة أن الأمر لم يتوقف عند الشائعة، بل نتجت عنها وقائع جديدة، فقد كتب محامي السادات خطاباً بما رددته الشائعة إلى الشيخ الرافعي نفسه، وهكذا صار الكلام "اتهاماً رسمياً"، فاغتأظ الشيخ لذلك وثار كما وصف شفيق باشا<sup>(١)</sup>. وبدا وكأن الأزمة ستجدد ثانية، حين بلغت تلك الأمور مسامع صفية السادات وهي في منزل الرافعي، حيث عازمت على أن تغادر منزله تجنباً لإحراجة والإساءة إليه.

---

(١) مذكراتي في نصف قرن.. مرجع سابق.

---

وكتب الشيخ الرافعي إلى قاضي قضاة مصر يقول "همت السيدة صفية بالخروج من المنزل فدافعتها، ولكنها مصممة على الخروج متى تمكنت من ذلك. وبما أنه لا يمكنني إقامة الحيلولة، فأطلب من سماحة القاضي أخذها من منزلي..". وأدرك الجميع خطورة ما يمكن أن يحدث لو خرجت صفية من منزل الرافعي، فهذا ببساطة يهدم اتفاق الحكومة مع المحكمة، ويمنع تنفيذ قرار المحكمة، ويعوق سير القضية وسائر القضايا، لذا سارع الجميع، رجال المحكمة ورجال المحافظة والحقانية وأيضا الصحف إلى تطييب خاطر الشيخ الرافعي وتحيته والإشادة به، فقالت اللواء "هي أريحية يستحق لأجلها الشكر وأوفر الثناء..". أما المؤيد فنشر مقالا كتبه على يوسف بعنوان "علم الفضل والمروءة" والمقصود هنا هو الشيخ الرافعي، وامتلا المقال بالثناء على الرافعي.

وبينما اشتد الثناء على الشيخ الرافعي، زادت الصحف من حدة هجومها على الشيخ على يوسف، خاصة "اللواء" التي حملته مسئولية الأزمة برمتها، ونعته بأنه "يطمع في المال والجمال، فهو يجب أن يطمع قبل كل شئ في الشرف ويحترم العادات القومية وأن لا يجعل للشيطان عليه سلطانا..".

أخذت اللواء تنشر رسائل من قراء امتلأت هجوما على صاحب المؤيد، ومنها رسالة جاءت من الزقازيق بعث بها عبد الرحمن أباطة يخبر القراء أنه قد توقف عن قراءة "المؤيد" بعد أن خدع في صاحبها وقال "خابرت صاحب المؤيد بالترفع عن الاشتراك بجريدته تشبها بغيري من أهل الشهامة والشعور

---

الحى، لتخليه عن الخدمة العمومية واشتغاله بقضايا مآربه  
الخصوصية والجريدة مستمرة الورد . فكتبت له أخيراً، وهذا  
إعلان آخر لسعادته بذلك..".

واختار الأهرام الهجوم غير المباشر، حيث ندد - ٢٩  
يوليو - بفكرة "الحرية" التى حاول البعض اعتبارها سنداً لما  
قام به على يوسف وصفية السادات ، قال الأهرام "الحرية إذن  
فى بلاد الحرية ليست خلع العذار وإطلاق العنان ليفعل الإنسان  
ما شاء كما يريد أن يفهمنا قومنا.. بل إن الحرية هى أن تتمتع  
بحقوقك بلا معارض حتى الحد الذى تبتدى عنده حقوق غيرك،  
فلأب حقوق على الابن لا تضيع، وللابن حقوق شخصية  
تستوفى بعد حقوق الأب".

ولم يفتح الأهرام باب النقاش حول حدود الحرية  
ومعناها وضوابطها، لكن اكتفى فقط بتلك الكلمة . أما "مصبح  
الشرق" التى كان يصدرها إبراهيم المويلحى فقد أطلقت على  
عام ١٩٠٤ اسم "عام الكفاء" للتهكم على الشيخ على يوسف،  
وكان ذلك انتقاماً من هجوم سابق لعلى يوسف على "المويلحى".  
كانت المؤيد فى موقف بالغ الصعوبة والخرج، أمام  
هذه الحملات المستمرة التى تشنها معظم الصحف ضد على  
يوسف، واكتفى المؤيد من جانبه بالرد على بعض ما يقال من  
اتهامات ضده، واتجه أيضاً إلى مهاجمة الشيخ السادات،  
والتفتيش فى ملفاته القديمة ، ومنها واقعة ابنته الكبرى أسماء،  
يقول "لماذا هو عارض جهده وسعى كل السعى لعدم تنفيذ  
الحكم النهائى الذى أصدرته المحكمة الشرعية منذ سنوات

---

بلزوم طاعة كريمته السيدة المصونة أسماء لزوجها حضرة  
عثمان بك أبى زيد".

وكانت المؤيد قد وصفت قرار المحكمة الذى أحدث  
الأزمة بأنه "اشتعل على صيغة لا يوجد لها أثر فى لائحة  
المحاكم الشرعية".

\* \* \*

بدأت جلسات المرافعة فى القضية، وأخذ كل طرف  
يشرح موقفه، حسن بك صبرى محاميا عن صفية وسيصبح  
فيما بعد نقيباً للمحامين الشرعيين وهناك شارع باسمه فى  
المبتديان الآن. عرض محامى على يوسف طلب الصلح على  
السادات وكما قال "حتى إذا قبله تجنبنا قول ما يقضى به الدفاع  
عما قد يمس بكرامته". ورفض محامى السادات هذا العرض..  
وقد شهدت هذه الجلسات تجريحا للطرفين وصل إلى حد  
الإهانة البالغة فى الكثير من الأحيان، تحدث الفندى عن عراقة  
بيت السادات منذ ٨٠٠ سنة فى مقابل وضاعة أصل وحقارة  
نسب على يوسف، وإذا به يقول "إن عامة أهل القرى  
والأمصار فى هذه الديار أعاجم إلا من له نسب معروف  
كالسادة الوفانية.. "وهكذا وصم السيد المحامى معظم أهل مصر  
ووصفهم بالأعاجم ، قاصداً بذلك الحط من قدرهم، ثم تحدث  
المحامى تحديداً عن قرية "بلصفورة" ، وهى قرية صغيرة فى  
محافظة سوهاج بصعيد مصر ولد بها على يوسف، قال  
المحامى "إنه من قرية صغيرة تسمى بلصفورة كلها أعاجم"  
يقصد بذلك أنهم ليسوا من أصول عربية وليسوا من نسب

---

الحسن أو الحسين. وبدلاً من أن يرد محامى على يوسف بأن السادة الوفائية وافدون على هذا البلد وعلى سكانه الأصلاء "المصريون" الذين يسميهم الفندى "أعاجم"، إذا به يرد بنفس منطق الخصم ليصيح أن موكله - على يوسف - أصيل حسيب نسيب هو الآخر وأنه عضو فى نقابة الأشراف، وكان على يوسف قد انضم إلى تلك النقابة قبل سبع سنوات، فى عام ١٨٩٧ وفى مدينة جرجا، لكن محامى السادات يطعن فى هذه العضوية ويطلب الشيخ "على الببلاوى" الذى كان نقيباً للأشراف حين انضم على يوسف إلى النقابة الذى أفاد بأنه ضم على يوسف بناء على ترشيح النقابة فى جرجا، فلا يعترف محامى السادات بهذا الضم ويصر على أن الخصم ليس حسيباً ولا نسيباً وأنه أعجمى.. فيرد عليه محامى على يوسف بأن السيد عبد الخالق السادات ليس أصيلاً فى بيت السادة الوفائية لأن جده المباشر كان من نسل إحدى الجوارى اللاتى لا يعرف لهن أصل، واستشهد على تلك الواقعة بترجمة الجبرتى فى "عجائب الآثار" لحياة الشيخ السادات الذى عاصر حملة نابليون بونابرت على مصر ويعتبر جد الشيخ عبد الخالق.

فيرد محامى السادات بطريقة أكثر سفهاً حيث يشير إلى أن أحد أجداد على يوسف اسمه "عبد النور" وهذا الاسم يتسمى به أقباط مصر وليس مسلموها، ويخلص من ذلك إلى أنه قبطى الأصل، ويضيف أن أحد أجداد على يوسف أيضاً اسمه "شيخون" ويرى أن شيخون هذا هو بطرس ابن يوسف فى بلدة بلصفورة. وهكذا كانت المحاجاة فى قاعة المحكمة

على مسمع من حشود المواطنين الذين تابعوا وقائع القضية داخل المحكمة، والصحف تنقل كل هذا ولا تترك حرفاً واحداً مما يقال!!

ويثير محامى على يوسف واقعة قبول السادات للخطبة وتلقى النشان "الشبكة" والمهر والهدايا ، فيرد محامى السادات بجسارة وثيقة "أما الوعد بالنكاح وقراءة الفاتحة بدون إجراء عقد شرعى بإيجاب وقبول فلا قيمة له شرعاً" وقال محامى السادات أيضاً إن الخديو قد تكلم ثلاث مرات مع موكله فى شأن إتمام الزواج لكن لم يوافق!! وأخذ المحامى يهاجم مهنة الصحافة واصفا إياها بالتدنى يقول "كيف لا تكون أدنى الحرف وهى عبارة عن الجاسوسية وكشف الأسرار".

وواصل "اللواء" مهاجمة على يوسف ونعته بأنه أقدم على "اقتناص بنات الأشراف ودخوله بها كما يدخل الزوج بزوجته بغير رضا والدها وبلا علمه وبدون استعداد لذلك"، وشارك "الأهرام" اللواء فى مهاجمة على يوسف .

الطرف أن الذى رد على مهاجمى على يوسف وإن كان بأسلوب غير مباشر هو السيد رشيد رضا فى "المنار" ، فقد تساءل - عدد ٣٠ يوليو ١٩٠٤ - "إذا كانوا يغارون على أحكام الدين فلماذا يمدحون ويطرون الأعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها ، كالمرقص الذى يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة إلى شرب الخمر جهاراً".

ثم يخص رشيد رضا اللواء ومصطفى كامل تحديداً بالذكر حيث يقول .. فلماذا قام زعيمهم صاحب جريدة اللواء

---

يندد بعمل محافظ مصر السابق عندما أراد التشديد على النساء  
المتهتكات في الشوارع والأسواق".

في نفس العدد نشر رشيد رضا بحثاً فقهيًا بعنوان  
"الأولياء والكفاءة في الأزواج" تحدث في فقرة منه عن قصة  
صاحب المؤيد قاتلاً بوضوح "إن العالم كفؤ لبيت الشريف  
والحسيب وإن كان نسبه وضيعاً أو مجهولاً لأن العلم أشرف  
الأشياء، فلا عار معه مطلقاً" ويضيف قاتلاً "أما حكم هذه الكفاءة  
فهو وجوب تزويج الخاطب مع تحققها واعتبار الولي عاضلاً  
للمخطوبة إذا امتنع من التزويج، ولها حينئذ أن تزوج نفسها من  
الكفؤ بدون رضاه عند الحنفية إن كانت رشيدة وليس له  
الاعتراض ولا طلب الفسخ، وعند غيرهم يرفع الأمر إلى  
القاضي فيأذن الولي البعيد بالتزويج إذا كان القريب هو  
العاضل أو يزوجها هو".

وفقاً لهذا الرأي فإن السيدة صفية السادات لم تقع في  
أى خطأ لأن مصر تتبع المذهب الحنفى. وبدلاً من أن يستعين  
محامى "على يوسف" بهذا البحث وهذا المنطق فى الدفاع، إذا  
به ينساق وراء منطق السادات ومحاميه وأخذ يستعين بعدد من  
علماء الدين الذين شهدوا لموكله بالعلم والفضل والمواقف  
الوطنية مثل "قضية التلغراف"<sup>(١)</sup>. وحمل معه إلى قاعة المحكمة

---

(١) قضية التلغراف: جرت وقائعها سنة ١٨٩٦ وكانت مصر قد أرسلت  
حملة عسكرية إلى دنقلة بالسودان وقادها ضباط إنجليز، وأصدرت  
الحكومة قراراً كان وراءه لورد كرومر، بمنع إعطاء جريدة "المؤيد"  
أى أخبار أو معلومات عن الحملة، بينما تعطى المعلومات والبيانات  
كاملة للصحف المساندة للاحتلال خاصة "المقطم" والصحف الأجنبية.

= كانت "المؤيد" هي الجريدة الوطنية الأولى التي يتابعها المصريون، وكانت الأكثر مناهضة للاحتلال البريطاني، ويبدو أن "كرومر" تصور أنه بحجب معلومات حملة دنقلة عن "المؤيد" سوف يضعفها ويفقدوا جمهورها واهتمام القراء بها، لكن "على يوسف" تصرف كصحفي محترف، ورئيس تحرير قادر على أن يتجاوز العقبات التي توضع أمام جريدته، وتوصل إلى حل، حيث تمكن من الاتصال بمكتب تلغراف الأزبكية وكانت تصله البرقيات الخارجية، وكانت الموظف الذي يتلقى البرقيات هو "توفيق أفندي كيرلس" وتلقى توفيق أفندي من سردار الحملة برقية موجهة إلى ناظر الحربية "باللغة الفرنسية وتضم ٥٦٦ كلمة بها كل شيء عن الحملة، وقضى توفيق أفندي سبع ساعات في استقبال البرقية، وبعث بها إلى ناظر الحربية، حيث سلمت إلى جاويز بالوزارة وأرسلت فوراً إلى منزل الناظر الذي قراها واحتفظ بها في خزانة خاصة بمنزله، ولكن كانت هناك نسخة أخرى من البرقية وصلت إلى جريدة "المؤيد" وعلى يوسف.

في اليوم التالي "٢٨ يوليو ١٨٩٦" خرجت "المؤيد" تنصدها البرقية مترجمة إلى اللغة العربية وفيها كل ما ينتظره الشعب المصري ويريد معرفته، واستشاط ناظر الحربية غضباً وكلف أحد كبار موظفي الوزارة "ملحمة بك شكور" بالتوجه إلى مكتب التلغراف والتحقيق، وبعد التحري ومراقبة الموظفين اتضح أن "توفيق كيرلس" هو الذي سرب البرقية إلى "المؤيد" وتم التحقيق في الموضوع، وانحصر الاتهام في توفيق كيرلس بإفشاء أسرار الدولة، واتهم على يوسف بنشر هذه الأسرار وتم تقديمهما إلى المحاكمة.. في نفس الوقت تقدم "قارس نمر" صاحب "المقطم" ببلاغ إلى النيابة العامة ضد على يوسف والمؤيد ومكتب تلغراف الأزبكية أن مراسل المقطم في "بيا" أرسل إليه برقية يوم ٢٧ يوليو فوجدها منشورة بنصها في "المؤيد"، وتم تقديم على يوسف وتوفيق كيرلس إلى المحاكمة في القضيتين، وظهر أثناء نظر القضية أن قانون المطبوعات يخلو من نص على عقوبة نشر أسرار الدولة، ولكن وجد "لورد كرومر" ثغرة في قانون العقوبات تعاقب الموظف العام الذي يفشى أسرار الدولة، ومورست ضغوط عنيفة على توفيق كيرلس للتوصل مما قام به، أو إلقاء التهمة كلها على صاحب المؤيد "على يوسف"، لكنه صمد وقاوم الضغوط، وترافع=

---

الكتب التي درسها على يوسف بالأزهر على كبار الشيوخ، وقال إن دراسة هذه الكتب كانت تؤهله للتدريس بالأزهر ولأن يصبح من كبار العلماء.. فيرد محامى السادات مستعينا ببعض الشهود من العوام، ليقول أحدهم إن على يوسف رجل وضيع فيسأله لماذا .. فيرد لأنه رآه ذات مرة فى المطبعة يصحح بعض المواد بنفسه قبل طباعتها، حين كان يصدر مجلة "الأداب"، ويأتى شاهد آخر ليقول إن على يوسف ليس ذا أصل لأنه جاء من بلصفورة بالصعيد ولم يكن من القاهرة أصلا.. وسارت المرافعة على هذا النحو.

انتهت المحكمة من الاستماع إلى المرافعة وإلى الشهود وتحدد يوم الخميس ١١ من أغسطس للنطق بالحكم، الذى جاء على النحو التالى: "حكما للسيد أحمد عبد الخالق السادات المذكور على الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وصفية بنت السيد أحمد عبد الخالق المذكور بعدم صحة عقد زواجهما المذكور وعدم جواز اجتماعهما" والأهم من منطوق الحكم هو حيثيات وأسباب النطق به، والتي تعد وثيقة اجتماعية

---

عن المتهمين المحاميان إبراهيم الهلباوى "بك" وأحمد الحسينى "بك"، وتابع للشعب المصرى المحاكمة، وغصت قاعة محكمة عابدين بالمئات من المواطنين ومئات أخرى حولها، وأدين توفيق كيرلس بالسجن ثلاثة شهور وبراءة على يوسف من التهمتين. وقد رفعت قضية التلغراف أسهم على يوسف عاليا أمام الشعب المصرى، وتأكلت مصداقية "المؤيد" ووطنيتها فى نظر عامة الشعب المصرى. راجع أحمد شفيق "مذكراتى فى نصف قرن" الجزء الثانى صفحة ٢٣٠ - ٢٣١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب. سلسلة تاريخ المصريين ٨٤.

مهمة، تعكس تفكير قطاع كبير من المجتمع في تلك المرحلة .  
تقول الحثيات: وحيث إن الغنى وبسطة المال من أجل ما  
يتفاخر به في العادة بل لا يكاد يفتخر إلا به كما هو معروف  
وغير قابل للإنكار والمدعى عليه - على يوسف - يعترف  
للمدعى - السادات - بأنه يعيش من أوقاف وهي أوقاف قديمة  
وذلك يتدرج فيه اعترافه له بأنه نشأ في الغنى بل اعترف له  
ولأبائه به صراحة (...) لا بر ولا إحسان مع الفقر ولم يدع  
ذلك المدعى عليه لنفسه ولم يجب لما سئل عنه عندما نسب له  
المدعى أنه نشأ في الفقر لكونه فقيرا من عائلة فقراء حرفتها  
خدمة الغير. ولم يكن المدعى عليه معارضا في نشأته فقيرا  
كما هو معروف ومشهور لا ينكره أحد، وفقره في بداه وإن  
زال الآن باكتساب الغنى لا يزول به عاره عنه عرفاء، كما هو  
معروف في العامة والمنصوص عليه يوافقه.

إذن في رأى القاضى أن الفقر عار وأن هذا العار لا  
يزول بزوال الفقر، بل يظل مصاحبا للفقير حتى لو أصبح  
اغنى الأغنياء.

أما عن نسب كل من الطرفين وتأثيره على الزواج  
تقول الحثيات "المدار في الكفاءة على ما يلتحق به العار  
بالمصاهرة عرفاء، وحيث إنه تحقق من شهادة إبراهيم بك  
حفظى ومصطفى أفندى على في هيئة الجلسة، ومن شهادة  
سعادة عثمان باشا غالب وحضرة حسن بك مذكور وغيرهما  
ممن استحضروا للوقوف منهم على حقيقة المتنازع فيه أن  
السيد أحمد عبد الخالق السادات يلحق العار بمصاهرة الشيخ

على يوسف وذلك يكفى فى ثبوت عدم الكفاءة لو لم يكن غيره". وإذا كانت المحكمة قد أخذت دون سبب مقنع بالشهود الذين أحضرهم السادات، فإنها أيضا دون سبب مقنع رفضت شهود على يوسف. تقول الحثيات: حيث إن شهادة الشيخ حسن الهوارى والشيخ عبد الهادى مخلوف والشيخ على إدريس على كفاءة الشيخ على للسادات لم تصح لقصور أوجه الكفاءة فيها وظهور عدم معرفتهم للسيد السادات عند البحث معهم فى ذلك.. وتضيف الحثيات "حيث إن محمود السوسى من ضمن من استحضروا للتحقيق منهم عن المتنازع فيه قال إن السيد السادات لا يلحقه العار بنسب الشيخ على يوسف وهو فرد لا يكفى فلا تثبت بشهادته الكفاءة". ولا تكتفى الحثيات بذلك بل تقول "وحيث إنه يفرض صحة شهادة هؤلاء الأربعة على الكفاءة فلا تعارض شهادتهم شهادة الشهود بأنه يلحق المدعى العار بمصاهرة الشيخ على لأن شهادة لحوق العار شهادة بفساد النكاح وشهادة عدم لحوقه شهادة بصحته وإذا تعارضت البنيتان ترجح بينة الفساد على بنية الصحة".

ويصل التعسف مداه حين تتحدث الحثيات عن حرفة كل من الخصمين، وحين تقدم لنا التعريف المثالى للحرفة وهو "حيث إن الحرفة من المعروف فيها بين الناس فى العرف والعادة أن اشتغال الإنسان بموارد إيراده واكتسابه من أملاك أو أوقاف يستحقها وتحت نظره تعتبر كأحسن الحرف".

إن أفضل المهن أن يعيش الإنسان على أملاكه أو أوقافه ، أما عمل الإنسان وجهده الآخر فالواضح أنه لا مكان

---

له فى نظر فضيلة القاضى .. ثم تتحدث الحثثيات باستفاضة  
عن الصحف والصحافة ، لنقول: "اشتغل بها فى غير هذه  
الديار أكابر الناس عقلا وفضلا، واشتغل بها فى هذه الديار  
بعض الفضلاء برهة من الزمان ولا يمكن المدعى عليه أن  
يدعى لنفسه هذه الصحافة لأن قلبه فى المبادئ لغير سبب  
وتعرضه للشخصيات فى ثوب المصالح العامة وسكوته عن  
بعض ما يلزم الكلام فيه لأغراض بعض من يهمله رضاه  
وكثرة إضراره عندما يريد أن ينفع وغير ذلك مما هو معروف  
يمنعه من دعوى القيام بهذه الصحافة لنفسه، ولا تذهب به بعيدا  
بسر د شئ من ذلك لأنه معروف مشهور، ونقف معه فى هذه  
الحادثة التى هى موضوع النزاع والبحث اليوم ولا نزيد عليها،  
فإذا يكون المدعى عليه ليس مشتغلا بالصحافة قائما بها؛ وإنما  
هو مشتغل بشئ يشبهها اشتغل به لأغراضه، ملبسا له ثوب  
الإرشاد والمصلحة العامة. وهذا اشتغال يعتبر اشتغالا بأخس  
الحرف فلا يكون محترفا بحرفة شريفة.

كان القاضى مصمما على أن يدين على يوسف بشتى  
السبل والانحياز المطلق لموقف الشيخ السادات، ولنتابع كيف  
تعامل مع الأسباب التى رآها على يوسف لصحة عقد الزواج،  
نقول الحثثيات "حيث إن ما ذكره وكيل المدعى عليهما من  
قبض المدعى المهر وأخذه النشان وقبوله الهدايا لم يثبت وحيث  
إنه على فرض إثباته لا يفيد الرضاء لأن المنصوص عليه  
شرعا أن قبض الولى المهر إنما يكون رضى إذا كان عدم  
كفاءة الزوج ثابتا عند القاضى وعدم كفاءة المدعى عليه لم

يثبت عند القاضي وقت قبضه، فلا يكون قبض المدعى له رضى".

وكان الشيخ على يوسف قد دفع بعلمه وأنه درس فى الأزهر، وهذا يكفى لجعله كفوا للشيخ السادات الذى لم يحصل مثل هذا العلم، لكن القاضي لم يقبل ذلك بالقول فى الحثيات "وحيث إن العلم الذى زعمه المدعى عليه لنفسه وبينه بحضوره الكتب التى ذكرها فى الأزهر وغيره ليس كافيا للعالمية المرادة للفقهاء المعتبرة فى الكفاءة إذ هى عبارة عن العلم بالله وبالأحكام العملية وعدم ارتكاب ما يخالفها ومجرد صنعة التحرير والإنشاء لا تدل عليها".

وحين تقدم دفاع "على يوسف" بما يثبت عضويته فى "نقابة الأشراف" والتى تثبت أنه ينتمى فى النهاية إلى الحسن بن على بن أبى طالب، رفض القاضي هذه العضوية رغم صحة أوراق النقابة. تقول الحثيات "هذا هو الموافق للمعروف من عمل نقابة الأشراف فى إثبات الأنساب وكل هذه أخبار لا تفيد ثبوت النسب ثبوتا قضائيا وإن كان المخبرون عدولا فلا يكون حجة فى ثبوت النسب".

ولم يشفع لنسب على يوسف لدى المحكمة شهادة شيخ الأزهر. تقول الحثيات "وحيث إنه لما استقهم من فضيلة الأستاذ شيخ الجامع الأزهر بناء على ما تقرر من هذه المحكمة وردت إفادته يقول فيها إنه ثبت عنده هذا النسب ثبوتا شرعيا والظاهر أن مراده من الثبوت الشرعى هو هذه الإجراءات إذ هى المتبعة فى عمله فى مثل ذلك (..) فلا يفيد ذلك الثبوت

القضائي فتعين أن يكون مراده من الثبوت الشرعي هو مجرد إخباره بذلك النسب إما مكاتبة أو مشافهة (..) ولا يتأتى حمل الثبوت الشرعي في عبارته على الثبوت القضائي إذ هو لا يكون إلا شهود عدول بعد دعوى شرعية لدى قاض يملك فصل الخصومات وفضيلته ليس من خصائصه ذلك.." ويرى الحكم أن منصب شيخ الأزهر ليس له "إلا الأعمال الإدارية التي لا تكون حجة للثبوت للقضاء الشرعي".

وبينما رفض القاضي اعتماد وثائق نقابة الأشراف وكذلك شهادة شيخ الأزهر، كذلك اعتبر أن ما يقوم به علي يوسف في المؤيد ليس من الصحافة الصحيحة، فإذا به في نفس الحكم يؤكد نسب الشيخ السادات معتمداً في ذلك على أعداد من "المؤيد" كانت قد نشرت أخباراً عن بيت السادات وصفته بأنه "من أقدم البيوت الأثيلة في المجد في مصر بيت السادات الوفانية وهو بيت اشتهر بالعلم والفضل والبر والإحسان من قديم الزمان كما اشتهر بكرم المحتد وطيب النجاد وينتهي نسبة إلى الحسن ابن علي".

اعتمد القاضي هذا الكلام باعتباره اعترافاً من علي يوسف بأصالة بيت السادات - لم يكن علي يوسف قد أنكر ذلك في أي وقت - وأخذ به القاضي!!

كانت حيثيات الحكم أشبه بعملية إعدام لعلي يوسف، فقد حوسب علي مواقفه وأرائه السياسية، وحوسب علي كتاباته وعلي سياسة المؤيد، وحوسب علي فقره الذي كان، وعلي حرفته ومهنته!! جاء الحكم وثيقة وإعلاناً عن الاتجاه

---

المحافظ إلى حد التشدد في المجتمع والذي يهدر قيم العمل والاجتهاد الإنساني، ويسخر من روح الإسلام التي جعلت الفضل بين المسلمين لأمر عديدة أبرزها العمل، وليس بينها وراثه الثروة والأموال والأوقاف!!

\* \* \*

أحدث الحكم صدى واسعا في المجتمع، وربما كان أفضل وصف لهذا الصدى قول السيد رشيد رضا في المنار "أعجب به الأكثرون في القطر كله، وانتقده بعض الناس بأن في الحثثات أموراً خطابية غير شرعية وتضعيفاً للقوى من دفاع أحد الخصمين مع قبول مثله من الآخر".

أما "اللواء" فقد خرجت في اليوم التالي للنطق بالحكم تعلن أنه عقب صدور الحكم، الذي استغرقت تلاوته بحثثاته من الثامنة إلى التاسعة والنصف، هتف الجمهور "لتحيى الشريعة، ليحيى العدل"، ويهتف معهم صاحب اللواء الزعيم مصطفى كامل قائلاً "هذا هو القاضي عمر.. قبلوا يديه أيها المسلمون" ونشرت اللواء نص الحكم وقدمت له بالقول "حادث جناه أكبر زميل لنا وأشهر من عرف بالوعظ والإرشاد على بيت اشتهر أنه من بيوت النبوة".

أما الشيخ على يوسف فكان تعليقه على الحكم في المؤيد ".. أما نحن فلم يؤثر علينا ما في لهجته الشديدة بشيء ما، إذ أمامنا الاستئناف وفي اعتقادنا أنه سينصفنا ويصبح حكم حضرة القاضي الابتدائي أشبه بمقالة من جملة المقالات التي قرأناها في بعض الصحف ونسناها".

بصدور الحكم الابتدائي تراجع تتناول القضية في الصحف واختفت حكاية على يوسف من صفحات الصحف الأولى لصحف القاهرة بعد أن ظلت ٢٥ يوما تحتل معظمها المكان الأبرز .. "اللواء" فقط هي التي واصلت الحملة على الشيخ على يوسف في صفحاتها الأولى وبشكل يومي.

أشعل مصطفى كامل "اللواء" نارا ضد الشيخ على يوسف منذ بداية القضية، ثم زاد من حدة الهجوم بعد صدور الحكم الابتدائي، وفي أحيان كثيرة بلغ الهجوم الدرجة التي توصف في القانون اليوم بأنها سب وقذف علني، عقب صدور الحكم مباشرة نشر "اللواء" رسالة من زينب محمد جلال بالبغالة تـرجو فيها .. أن تخبروا القراء بمسـرور السيدات عموما من هذا الحكم الذي هو عين الصواب" ورسالة أخرى من "تورجوان شوكت" مسلمة تركية بالدرب الأحمر تحمل نفس معنى رسالة سيدة البغالة، ثم خطابا مفتوحا - يوم ٢٠ أغسطس - موقع باسم وجيه من الإسكندرية إلى الشيخ على يقول فيها "قم واكتب للسيد السادات وتقدم إليه خاضعا متأدبا واطلب العفو منه عن جنايتك عليه في أعظم عزيز لديه واعترف له بما بينك وبينه من الفرق الشاسع والبون البعيد.." ثم يواصل ذلك الوجيه أمرا على يوسف "قم واكتب للأمة التي رفعتك من الحضيض إلى العلا وكافأتها على ذلك بإيماء فؤادها.. اكتب لها خاضعا خاشعا مسترحما، واطلب منها عفوا ورحمة ونكرها بتلك الأيام التي كانت وأنت متربع في فؤادها".

بعد عدة أيام ينشر اللواء خطابا آخر من وجيه بالقاهرة إلى السيد توفيق البكري يقول فيه "كيف سمحت لبنت بكر

شريعة الحسب والنسب أن تأتي بيتك خفية من غير علم أبيها وتسهل لها كل طريق لكي تعقد عقد نكاحها على رجل أنت أعلم الناس بأنه حاول كثيرا الحصول عليها ولم يقبل أبوها". ومن التساؤل إلى الاتهام الصريح يقول ذلك الوجيه المجهول "ثابت مثلا أن منزل الظاهر مكث نحو ستة شهور وهو في استعداد حتى لملابس السيدة التي صار تفصيلها وتجهيزها بمنزلك وبتمام معرفتك مما دل على أنك دبرت الأمر تدبيرا ورتبته ترتيبا.." ويفسر ذلك الوجيه موقف البكرى بواحد من احتمالين.. الأول - يقول - "أن يكون بينك وبين السيد السادات عداوة قديمة وحقد عظيم". ويرى ذلك الوجيه أن ذلك "ليس من الشهامة في شئ بل والخسة والدناءة بعينها.."، الاحتمال الثاني "أن يكون بينك وبين الشيخ على يوسف علاقات مالية قضت عليكما بالاتفاق على أن تقضى له هذا الأمر.." ويرجح الوجيه الاحتمال الثاني ثم يطلب إليه أن ينصح صفية ويقول "تصحك لها الآن لا يخلو أيضا من بعض التأثير لأنها بذلك تعلم أن لا فائدة إذا من المكابرة والمجادلة فترضخ عن طيب خاطر لما حكم به الشرع الشريف وترجع طائعة مختارة لبيت أبيها.."، وقبل نشر هذه الرسالة كانت اللواء قد نشرت رفض صفية العودة إلى منزل والدها وأنها تكلمت مع الشيخ الرافعي في ذلك. تقول اللواء "الست صفية بكت وطلبت أن تظل عند الشيخ ولا تذهب إلى أبيها". وأخذت اللواء تنشر أخبارا ذات طابع استفزازي للشيخ على، مثل أنه لم يتقدم إلى المحكمة للاستئناف، وأنه.. وأنه، ثم بعد ذلك تنشر تصريحاً مجهلاً لأحد القضاة، جاء فيه "تفضل قاض فاضل من مستشاري محكمة

---

الاستئناف الأهلية فجهر لنا بأنه قرأ حكم المحكمة الشرعية في قضية صاحب المؤيد وتناقش في شأنه وحيثياته مع بعض إخوانه من القضاة بحضور بعض القضاة الشرعيين وقد أجمعوا على أن هذا الحكم فريدة قلادة أمثاله من الأحكام الشرعية متانة وإحكاماً وأن النصوص الشرعية التي حواها من أشهر النصوص اعتباراً.."

وأخذت اللواء في نشر رسائل من الخارج ، تصور استياء المسلمين في أنحاء العالم من الشيخ على يوسف، فمدرس مصري يقضى الصيف في إستانبول يكتب لهم عن حزن المصريين في تركيا وكذلك حزن الأتراك على ما قام به على يوسف، ثم رسالة من "مكاتبنا في بومباي" تعكس حزن مسلمي الهند، ورسالة تعبر عن مسلمي آسيا. وأخذت اللواء تهاجم من يدافعون عن على يوسف وتسميهم "عصابة صاحب المؤيد". وانبرت تهاجم جريدة "الوطن" التي دافعت عن على يوسف ، وكان رأى اللواء أن "الوطن" جريدة تهتم بقضايا المسيحيين ومحرريها من المسيحيين، فلماذا تزج بنفسها في هذه القضية؟! وأسمت تناول الجريدة للقضية بأنه "تطفل"!!<sup>(١)</sup>

كانت "المؤيد" في المقابل تنشر رسائل تؤيد الشيخ على يوسف، وكذلك المقالات حتى لو نشرت في صحف أخرى مثل مقال "الجازيت الفراء" ، وفي أوائل سبتمبر منح السلطان

---

(١) بدأت جريدة "الوطن" معبرة عن عرابي والحزب الوطنى، ومحررها ميخائيل عبد السيد. وبعد هزيمة عرابي ودخول الخديو توفيق والإنجليز القاهرة، تحول "الوطن" إلى مساندة الاحتلال وتوفيق.

العثماني وساما، ونشر المؤيد - ٣ سبتمبر - خبر المنح: "يشرنا بإنعام جلالة مولانا السلطان الأعظم على صاحب هذه الجريدة بميدالتي الامتياز الذهبية والفضية" فإذا باللواء تخرج في اليوم التالي مباشرة لتعلن "...نقول للمصريين إن هذا الإنعام لم يوجه إلى الشيخ بعد ظهور مساويه من عرقلة السكة الحجازية ومحاربة العادات والأخلاق بل وجه إليه قبل أن يصل نبأ هذه المساوي إلى "المابين" (١) .." وتستدل على ذلك بالقول فيما بعد "إذا كانت أعمال صاحب المؤيد الأخيرة وخصوصا تشهيره بالسكة الحجازية أغضب جميع المسلمين طرا، فما بالك بجلالة الخليفة الأعظم وهو إمامنا وقبلتنا.." ثم ينشر اللواء بعد ذلك للتدليل على غضب السلطان من على يوسف أن "المؤيد" منعت من دخول الممالك العثمانية، وصار الوسام العثماني قضية القضايا عند اللواء "الرتب والوسامات لا ترفع مقاما ولا تعلو شأننا بل يرفعها حاملا ويزينها صاحبها" وكثف اللواء من نشر الرسائل التي تتدد بالشيخ على يوسف، ففي يوم واحد - ١٠ سبتمبر - تنشر ١٤ رسالة من قراء يسبون صاحب المؤيد.

احتلت قضية الوسام أولوية أولى لدى "اللواء" وسبقت استئناف قضية التفريق في هذا الجو المليئ باللغظ بين حكم

---

(١) المابين: مصطلح يطلق على حاشية السلطان عبد الحميد وسكرتاريته، وكانوا يحولون بين السلطان ومن يريد مقابله وكانوا المسئولين عن تقديم المعلومات والبيانات عن السلطنة ورجالها إليه، وكانوا غالبا ما يقومون بالدس لدى السلطان وتقديم التقارير الكيدية فيمن لا يدفع لهم ولا يكون على هواهم.

التفريق والوسام، وبين المؤيدين والمعارضين، كتب شاعر  
النيل حافظ ابراهيم قصيدته الشهيرة في هذا الموضوع، والتي  
بداها مخاطبا مصر بالقول:

حطمت اليراع فلا تعجبي      وعفت البيان فلا تعتبي  
فما أنت يا مصر دار الأديب      ولا أنت بالبلد الطيب  
وكم فيك يا مصر من كاتب      أقال اليراع ولم يكتب  
ثم تحدث حافظ ابراهيم عن القضية قائلا:

وقالوا : (المؤيد) في غمرة      رماه بها الطمع الأشعبي  
دعاه الغرام بسن الكهول فجن جنونا بينت النبي  
فضج لها العرش والحاملوه      وضج لها القبر في يثرب  
ونادى رجال بإسقاطه      وقالوا: تلون في المشرب  
وعدوا عليه من السينات ألوا تدور مع الأحقب  
وقالوا لصيق ببيت الرسول      أغار على النسب الأنجب  
وزكى (أبو خطوة) قولهم بحكم أحد من المضرب..  
وينتقل الشاعر إلى قضية الوسام وردود أفعالها، التي  
جاءت عقب الحكم:

فما للتهاني على داره      تساقط كالطر الصيب؟  
وما للوفود على بابه      تزف البشائر في موكب  
وما للخليفة أسدى إليه      وساما يليق بصدر الأبى  
فيا أمة ضاق عن وصفها      جنان المفوه والأخطب  
تضيع الحقيقة ما بيننا      ويصلى البريء مع المذنب  
ويهضم فينا الإمام الحكيم      ويكرم فينا الجهول الغبي  
على الشرق منى سلام الودود      وإن طأطا الشرق للمغرب..

جاءت القصيدة تعبيراً قوياً عن المفارقة والتناقض في الموقف كله، بين الذين اتهموا وأدانوا المؤيد - على يوسف - والذين سارعوا إلى بابه مهنتين بالوسام الذي منحه الخليفة وهو نفسه الذي يتبعه القاضي الذي أدانته!! وعن الصحف التي تناولت القضية بالمدح أو القذح قال حافظ إبراهيم :

وصحف تطن طنين الذباب

وأخرى تشن على الأقرب!!

\* \* \*

تابع اللواء أخبار الاستئناف بالتفاصيل التي يمكن أن تكون مملة، وإذا بها تنشر أن "عصبة على يوسف" يرددون أن هناك محاولات وتدخلات للتأثير في القضاء الشرعي لكي يأتي الاستئناف لصالح على يوسف، وتبصر اللواء لتؤكد أن الخديوى لا يمكن أن يتدخل لدى القضاء ولا سلطة الاحتلال. ثم تنشر - ١٩ سبتمبر - خبر تنحى الشيخ أحمد إدريس رئيس المجلس الشرعي عن نظر القضية "طلب إقالته منها وامتنع عن مباشرة نظر هذه القضية" ونشر الخبر بما يوحى أن هناك ضغوطاً كانت تمارس على الرجل فاضطر للابتعاد. وفي اليوم التالي مباشرة تنشر أن الشيخ إدريس سوف ينظر القضية ومعه الشيخ محمد ناجي، وغياب الشيخ عبد الرحمن السويسي والشيخ محمود الجزيري لقيامهما بأجازة الصيف، وكذلك تنحى فضيلة الشيخ أحمد المنزلي لنفس السبب، ولذلك فإن "مولانا القاضي الأكبر" سيتولى النظر في القضية، وكان نفس المحامين الذين ترافعوا عن أطراف القضية في الدرجة الأولى هم الذين ترافعوا في الاستئناف.

---

تقدم محامى على يوسف ومحامى صفية السادات  
بدفعين أساسيين :

الأول.. تقدم به حسن بك صبرى محامى على يوسف  
وهو أن موكله كفاء للسادات، حيث إنه ينتمى فى أصله إلى  
الحسين بن على أى أنه حسيب نسيب مثل السادات، ويزيد عليه  
أنه خريج الأزهر ومن ثم فهو من العلماء.. وأن السادات قد  
عضل ابنته.

الثانى.. تقدم به الشيخ محمد عز العرب محامى صفية  
السادات وهو أن السادات "رضى بزواجها من المدعى عليه  
صريحا وقبض نشانها ومعجل صداقها وبشرها بقرب  
زفافها..".

وتحدد يوم السبت أول أكتوبر للنطق بالحكم، وخرجت  
اللواء يوم الخميس لتقول إن الشيخ أحمد إدريس والشيخ محمد  
ناجى اختليا للمداولة فى قضية "فسخ العقد"، ولما كانت "اللواء"  
لا تصدر يوم الجمعة، فقد خرجت صباح السبت وقبل النطق  
بالحكم بخبر يكاد يكون إعلانا ضمنيا بالحكم. قالت: إن  
الشيخين يوم الخميس "لبثا فى خلوتهما إلى منتصف الساعة  
الخامسة مساء وأنهما كانا مشغولين بإعداد القرار الذى يسبق  
عادة تأييد الأحكام المستأنفة من هذه القبيل..". وأنهما عرضا  
نتيجة مداولتهما على "سماحة مولانا القاضى الأكبر"، وجاء  
الحكم كما ذكرت اللواء تأييدا كاملا وحارا للحكم الأول. أما  
الحيثيات فهى إعادة صياغة وبتركيز لحيثيات الحكم الأول مثل  
القول "حيث إنه قد تحقق عدم كفاءة الشيخ على أحد المدعى

---

عليهما وأن المدعى يلحقه العار بمصاهرتة"، وبهذا المنطق انتهى قاضي قضاة مصر: "يكون الحكم صحيحا والدفعان غير مقبولين وقال "قررنا باتحاد الآراء رفض الدفعين المذكورين وصحة الحكم المذكور".

بعد صدور حكم الاستئناف خرجت "اللواء" لترد على من دافعوا عن علي يوسف، وبلهجة الواعظ قالت "إنهم يلتمسون العذر لصاحب المؤيد بأن للغرام سلطانا لا يقوى على بطشه أشجع الشجعان، ولكن الاسترسال مع الهوى شيء والمحافظة على الآداب العائلية شيء آخر، وكان في استطاعته أن يضيف إلى أربع سنى الخطبة ربعها أو نصفها أو أكثر من ذلك أو أقل حتى يظفر ببغيته من غير أن يسيئ إلى قومه".

أصبح السؤال الملح حول مصير "صفية السادات"، فقد فرقها القضاء عن زوجها، وهى ترفض العودة إلى منزل والدها، لكن أمكن التغلب على هذه المشكلة، وخرجت اللواء يوم ٤ أكتوبر لتقول "كان ينتظر بعضهم وقوع إشكالات جديدة فى قضية الزوجية وعدم رضوخ كريمة السيد السادات إلى نصائح المخلصين وقبولها العودة إلى منزل أبيها، ولكننا علمنا أنها قبلت العودة إلى مهدا الأول فأرسل إليها سماحة والدها عربة فى صباح اليوم حيث نقلتها من منزل فضيلة الأستاذ الشيخ الرافعى إلى منزله وبذلك انتهى إشكال قضية الضم". ولم يفت اللواء أن تشكر الشيخ الرافعى.. فنشكر بلسان الغيورين مروءة الأستاذ الذى حفظها فى بيته كل هذه المدة التى كثر فيها القيل والقال وتهنى السادات بهذه النتيجة.

---

وفيما بعد سنعلم أن السيدة صفية كانت مصرة على ألا تعود إلى منزل والدها، وأن اللورد كرومر هو الذي تدخل بنفسه وأقنعها بالعودة إلى المنزل، حتى تنتهي هذه القضية لكن القضية لم تنته، فإن صفية لم تتمكن من الإقامة في منزل الوالد، وتقول لنا السيدة بثينة على يوسف - ابنة صاحب "المؤيد" - إن والدتها تركت الرافعي عقب صدور حكم الاستئناف ولم تقم في بيت والدها طويلاً وأقامت لفترة لدى الأميرة نازلي فاضل.

لم يكن حكم الاستئناف هو نهاية القصة ولكن النهاية جاءت بشكل آخر، حدده لنا شفيق باشا في مذكراته بالقول:.. ولما كان السيد عبد الخالق السادات يركن في هذه المسألة إلى الشيخ راضي الكبير، توصل الشيخ على يوسف إلى استرضاء الأخير حتى أقنع الأول بقبول العقد ثانية للشيخ على يوسف على السيدة صفية السادات وقد تم ذلك". إذن فيم كانت الضجة واللجوء إلى القضاء، ودعاوى الحسب والنسب وعار المصاهرة وعار الفقر الذي لا تمحوه الثروة وانعدام الكفاءة و...!!؟

الواقع أننا لا نستطيع أن نتعاطف مع موقف الشيخ السادات. وما ظهر منه وعنه طوال نظر القضية يدفعنا إلى النفور التام منه، رغم أن ما قام به كل من على يوسف وصفية السادات، كان صادمًا للمجتمع بتقاليده وعاداته في الزواج، ففي تلك الفترة كان المجتمع يرى مجرد تبادل بضع كلمات بين الفتاة وأى رجل من خارج أسرتها عيباً كبيراً وانحلالاً أخلاقياً.

فما بالنّا بفتاة تخرج من بيت والدها لتتم زواجاً لا يريد ذلك الوالد له أن يتم...؟؟!! وربما ضعف السيد على يوسف أمام مشاعره وعواطفه، خاصة وأنه كان متزوجاً، ولعله لم يتصور أن السادات سوف يقوم بما قام به من فضح الأمر أمام الرأى العام وفى ساحة القضاء ، ربما تصور على يوسف أن السادات سيتسلح بمبدأ "الستر" الذى يعرفه المجتمع المصرى خاصة وأن الأمر يتعلق بابنته، وربما تصور على يوسف أن تلك الوسيلة الوحيدة لإتمام الزواج، وكان عليه أن يتحسب الخطأ أكثر، وأن يمارس ضغوطاً أكثر على السادات لإتمام الزواج.

الطرف الذى يستحق تعاطفنا الكامل فى هذه القضية هو صفية السادات، فقد كانت تبحث عن تحررها من أب متسلط بل لا نبالغ إذا قلنا أب فاسد، ولنتابع الوصف الذى قدمه الإنجليزى الذى شغف بمصر وبأهلها "د. س. بلنت" يقول: "منعها أبوها من الزواج بدافع الارتزاق من ورائها مع أنها الآن فى السابعة والعشرين وكان مركزه كنقيب لأشراف المسلمين يتيح له فرض هدايا غالية على طالبى يدها الذين لا يلبث أن يرفضهم بعد ذلك، ولكن الفتاة ثارت على تأخر الإذن لها بالزواج". استقى "بلنت" هذه المعلومات من صديقه الشيخ محمد عبده.

كان السادات إذن يتاجر بابنته ويعاملها كسلعة، فرفضت هذا المبدأ واختارت طريقها ، وتقول بثينة على يوسف: إن السادات كان قد شغف فى تلك الفترة بجارية سوداء لديه، ألهمته عن كل شئ ، وكانت سبباً لأن يسمى معاملة ابنته

---

مما جعلها تنفر من بيت والدها ومن والدها نفسه، خاصة بعد أن تزوج من تلك الجارية .

ولنا أن نتخيل مشاعر صفية "التي بلغت سن العنوسة - بمعيار تلك السنوات - وتحب خطيبها ويمنعها والدها من الزواج، ثم يبيع لنفسه التصايب واللهاث خلف جاريته!!

الغريب أن ما تسمى بالحركة النسائية المصرية لم تعتبر إلى اليوم "صفية السادات" رمزا كبيرا لاختيار المرأة مصيرها بنفسها، وأن تقرر شكل حياتها والرجل الذى تريده.. وتعلن هذا للملأ وأمام الجهات الرسمية ، وهى على عكس "الرموز النسائية" وكان معظم نضالهن بالمقالات والكلمات المكتوبة أو الأنشطة الاجتماعية والخيرية، أما هى فكانت طريقا آخر تعرضت لتجربة ذاتية تتعلق بحريتها هى، واختارت وتحملت مسئولية اختيارها ودافعت عنه وقاالت من أجله!!

تبقى شخصية مصطفى كامل والشيخ محمد عبده، وموقف كل منهما يدعونا للتساؤل.. الأول أخذ موقفا بالغ التتديد والعدوانية بالشيخ على يوسف، والثانى التزم الصمت التام، رغم أنه كان مفتيا لمصر .

كان مصطفى كامل محافظا فى القضايا الاجتماعية ، لكن المسألة تبدو أمامنا الآن أكبر من ذلك، ولنقل إنها لم تكن الأصل عنده، خاصة وأن "اللواء" لم تكن جريدة اجتماعية ولكنها صوت "الحزب الوطنى" واهتمامها سياسى، وتركز على قضية الاحتلال الإنجليزى لمصر، ولكنها انجرفت إلى قضية

---

الزوجية ووضعتها على رأس أولوياتها وهمومها، والحقيقة أن المسألة عند مصطفى كامل كانت سياسية ولم تبتعد عن همه الأساسي.

ففي أوائل سنة ١٩٠٤ وقع الاتفاق الودي بين إنجلترا وفرنسا، وبمقتضاه كان على فرنسا ألا تتدخل في أمر احتلال إنجلترا لمصر، وفي المقابل تترك لها إنجلترا أمر بلاد المغرب العربي، ترتب على هذا الاتفاق أن هادن الخديو عباس حلمي الاحتلال الإنجليزي واللورد كرومر، وكان الخديوي في البداية - وأيضا مصطفى كامل - يتصور أن فرنسا هي التي ستعمل على إخراج الإنجليز من مصر، ولما كان على يوسف مرتبطا بالخديو فإن عداؤه للإنجليز لم يستمر على النحو الذي أراده مصطفى كامل، فاعتبره مهادنا للاحتلال، كذلك فإن مصطفى كامل اعتبر أن على يوسف ليس كامل الولاء لدولة الخلافة ولخليفة المسلمين في إستانبول، ووجد مصطفى كامل في قضية الزوجية فرصة للتدبير على يوسف والتشهير به، وكان موقفه من على يوسف يعنى ضمنيا موقفه من سياسة الخديو. وحين انتهت قضية الزوجية وتراجعت من الصحف؛ فإن مصطفى كامل لم يوقف هجومه الحاد على علي يوسف، وكان الهجوم الدائم بعد القضية بسبب الوسام الذي منحه خليفة المسلمين لعلی يوسف، فقد أخذ مصطفى كامل يتحدث عما أسماه "الإنعام الملق"، وعن أن الوسام قد تقرر قبل أن يعلم الخليفة موقف علي يوسف من مشروع السكة الحجازية.. الطريف أن الوسام الذي تقرر لعلی يوسف كان مقابل الأموال

---

التي تبرع بها الأهالي للمشروع من خلال "المؤيد". باختصار كان وساما مدفوع الثمن، ويتعلق بمشروع السكة، لكن مصطفى كامل أصر على أن على يوسف كان يتصدى للمشروع خفية...!!

وأثناء نظر قضية الزوجية أمام محكمة الاستئناف كتب مصطفى كامل مقالا في ديفون يوم ٢٩ أغسطس نشره يوم ٦ سبتمبر ١٩٠٤ وكان افتتاحية اللواء. عنوانه "من فضيحة إلى فضيحة.. أسئلة صريحة"، كان المقال كله عن "فضيحة المؤيد وفعلته الشنعاء" وتحدث مصطفى كامل عن رجال "يفضحون أنفسهم بأنفسهم اليوم ويضحكون الأجانب علينا ويحملون الأعداء على الشماتة بنا.. "ويقول مصطفى كامل" إن الرأي العام صار في مصر جسما حيا قويا شديد الساعدين يضرب الجاني والمفسد والخائن الضربة فيميته .." ثم يقول "إن كل أمة تصاب في أول عهدا بالحياة العالية بأفراد منافقين يدعون خدماتها ثم تظهر نواياهم السيئة فلا يلبثون أن يقعوا في هاوية الانحطاط والاضمحلال .." ثم يقول "أوجه إلى صاحب المؤيد أسئلة صريحة أعرف أنه عاجز عن الجواب عليها ولكن أوجهها حجة عليه وأصوبها سهاماً قاتلات إن كان لا يزال في صدره مكان خال من نبال".

وجه مصطفى كامل ستة وعشرين سؤالاً إلى على يوسف، أكثر من نصفها يدور حول مواقفه السياسية والوطنية.. مثل "هل الرجل الذي يقيم عشرة أعوام على مبدأ سياسى مرماه الجلاء والاستقلال ثم يتحول عنه الى إطراء الاحتلال ومسالمة

يعد منافقا أم لا؟ وسؤال آخر "بماذا يسمى المصري الذي يقبل الاحتلال ويطريه بعد أن كان يدعو إلى معاداته والمطالبة بحقوق البلاد؟ كانت أسئلته السياسية من هذا النوع ، وهي لم تكن أسئلة بالمعنى المعروف ولكنها محاكمة سياسية تحاسب الرجل عن تصرفاته وكتابات بل وفي أحيان عن نواياه، مثل "هل يقبل مسلم قولكم إن جلالة السلطان الأعظم أصدر مشروع السكة الحجازية بلا استعداد ؟!! وبعضها كان يحمل اتهامات واضحة ومحددة مثل "إذا كنت قد حاولت هدم الوطنية وأصبحت تسخر منها وأخذت تهدم العائلة وتحارب روح الشريعة، فماذا من تخدم وأى المبادئ تنتشر؟...

أما الأسئلة التي تتعلق بقضية الزوجية ، فكانت تحلق بعيدا عن وقائع القضية مثل " هل تكون الزوجة صالحة كاملة وأما نافعة مهذبة بعد أن تعلن للملا كله احتقارها لأبيها واستيائها منه لأمر لا تذكره النساء الكاملات أبدا ؟"

لن ننظر إلى موقف مصطفى كامل بعيوننا اليوم، فلو فعلنا ذلك لأصدرنا أسوأ الأحكام عليه ، ولكنه كان وطنيا شديدا التحمس ، شابا سريع الانفعال جعل من قضية الاحتلال ومقاومته هم عمره كله ، ورأى أن على يوسف قد أخل بهذه القضية ، والتقى الموقف السياسى مع الموقف الاجتماعى ، فشن مصطفى كامل حملته الضاربة. يقول شفيق باشا فى مذكراته عن سنة ١٩٠٤ "ولما ثارت قضية زواج صاحب المؤيد وعمل الخديو لتأييده من وراء الستار، زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديو، فلما سافر سموه إلى ديفون

---

هذا العام زاره هناك مصطفى كامل ، وصارحه برأيه في مضار هذه الخطة، وبين له أن الرأي العام لا يعطف على الشيخ".

بعد ذلك وفي ٢٤ أكتوبر أرسل مصطفى كامل خطابا إلى الخديو بالقطيعة بينهما بسبب اختلاف موقفهما من الاحتلال ، ثم قال له وكأنه يقصد تحديدا على يوسف "وإني أرجو أن يعتقد مولاي، حفظه الله، أني لم أقصد إلا محض خدمته بما قلته لسموه بشأن أولئك المفسدين الذين يلتصقون بالمعية ويضرون بها أكثر من أعدائها الظاهرين ويدخلون اسمكم الكريم في كل حادث غير حاسبين للرأي العام حسابا، غير ذاكرين أن عرش الخديوية هو البقية العزيزة لاستقلال البلاد"، ثم يقول في نفس الرسالة لخديو البلاد "وإنه ليحطو لي (..) أن تزداد كل يوم اتساعا الهوة التي بيني وبين الذين ادعوا خدمة الوطن ليخدموا مصالحهم، ثم انقلبوا عليه بلا خجل ولا حياء".

فيما بعد سيذكر الخديو في مذكراته أسفه لسوء العلاقة بين مصطفى كامل وعلى يوسف<sup>(١)</sup>.

وحين وقعت قضية الزواج كان الأستاذ الإمام محمد عبده مفتيا لمصر، وطوال إثارة القضية كان صامتا لم يعلق عليها، ولم يتخذ موقفا معلنا منها، وإن كان يمكن لنا أن نستشف موقفه من خلال رأي تلميذه الأثير السيد رشيد رضا

---

(١) مراجع "عهدي.. مذكرات عباس حلمي الثاني" ترجمة د. جلال يحيى ومراجعة د. اسحق عبيد وتقديم د. أحمد عبد الرحيم مصطفى. الناشر دار الشروق ١٩٩٢.

---

فى المنار - سبقت الإشارة إليه - وبتلخص فى أن السيدة صفية قد اتخذت الموقف الصحيح إزاء والدها طبقا للمذهب الحنفى، وأن الذين ينددون بهذا الزواج، لا ينطلقون من الغيرة على الدين كما يدعون، ويمكن أيضا أن نتلمس موقف محمد عبده من خلال قصيدة حافظ إبراهيم وقد كان المفتى وشاعر النيل صديقين .

ويبدو موقف محمد عبده بوضوح من خلال رواية "بلنت" لوقائع نوفمبر ١٩٠٤ حين عاد إلى القاهرة يقول "روى لى عبده خلاصة لكل ما حدث فى الصيف وكانت الحادثة الرئيسية هى مغامرة الشيخ على يوسف التى تورط فيها الخديوى، فالخديوى منذ زيارته الأولى للندن وتعرفه إلى ملكنا قد مال إلى حياة اللهو مع النساء السيئات السمعة وأحاط نفسه برفاق السوء، ودخل فى هؤلاء الشيخ على يوسف الذى كانت علاقته بالبلاط أدبية فى الأصل، ولكنه أصبح سميرا وانضم إلى بطانة السوء، ومع أنه لم يعد شابا فقد تصابى فى صحبة الخديو، وكان الأخير يجلس من النساء ابنة الشيخ السادات التى منعها أبوها من الزواج ثم يقول بلنت كما حكى له محمد عبده .. وعن طريق الشيخ البكرى الذى تزوج شقيقته الكبرى تعرف إليها الخديو ثم رشحها زوجة لعلى يوسف، فتقدم الأخير طالبا يدها بمساندة عباس ولكن الموضوع انتهى باللعبة القديمة التى تبدأ بالهدايا وتنتهى بتأجيل الزواج" ثم يقول "وقد شاع أمر الفضيحة التى تسبب فيها على يوسف واتسع نطاقها فى كل مكان ولم يخفف منها أن اللورد كرومر قرر فى النهاية وضع

---

حد للنزاع فنصح الفتاة بالعودة إلى أبيها...".

وكانت العلاقة بين الخديو ومحمد عبده سيئة، فقد كان الخديو يساند خصوم محمد عبده في الأزهر الذين يتصدون لمحاولاته في إصلاح الأزهر، وكان محمد عبده يتصدى لأطماع الخديو في الأوقاف، ومن ثم فإن رؤية محمد عبده للخديو بأنه فاسد، خاصة بعد أن ظهرت علاقاته بالنساء "السيئات" وانضمام علي يوسف إلى الحاشية المحيطة بعباس، ولم تكن رؤية محمد عبده للسادات أقل سوءاً من رؤيته للخديو وعلى يوسف، كانت القضية لديه "هابطة" من جميع الأطراف، باستثناء صفة التي يبدو أنه كان متعاطفاً معها، المهم التزم المفتي الصمت، فلو ساند علي يوسف لكان معناه أنه يساند الخديو وفريقه، ولا يمكن في إطار فهمه الديني والاجتماعي أن يساند الشيخ السادات، ولكن حالة الصمت هذه أدت إلى سوء الفهم لدى الشيخ علي يوسف الذي تصور أن الأستاذ الإمام يعمل ضده، يقول شفيق باشا "... وكان الشيخ علي يوسف يدعى أن المفتي هو الذي يحرض السيد السادات، فأراد الخديو أن ينتقم من المفتي بتغيير مجلس الإدارة [مجلس إدارة الأزهر] وإخراج الشيخين محمد عبده وعبد الكريم سليمان...".

سوف تكون هذه القضية واحدة من أسباب أخرى عديدة أدت إلى أن يترك الأستاذ الإمام محمد عبده موقعه في دار الافتاء المصرية في مارس ١٩٠٥، وبلغت الانتباه هنا أن الخديو سيختار الشيخ عبد القادر الرافعي، الذي أقامت لديه صفة طوال الأزمة، مفتياً لمصر خلفاً للشيخ محمد عبده لكن

---

الرجل لن يهنا بهذا المنصب، فقد وافته المنية بعد يومين فقط من تولى المنصب بعد أن "أصيب بالفالج" وسيخلفه أيضا الشيخ حسونة النواوى، وقد كان من فريق الخديو ومساندا للشيخ على يوسف ضد السيد السادات. وهذا يعنى أن الخديو بالفعل كان يساند على يوسف، وأن القضية كانت سياسية فى الحقيقة.



---

## مدخل إلى "الرسائل"



رغم تعدد زيجاته فإن الشيخ عبد الخالق السادات لم يرزق بولد، فقد كانت "خلفته" بنات، مرة واحدة رزق بولد، أسماه "على" لكن النفور والكراهية وقعت في نفس الوالد تجاه هذا الابن، قيل لأنه كان من جارية "سوداء" ولم يكن من زوجة، وتدخلت الأقدار لتضع حدا لهذه العلاقة المعقدة، وتوفى "على" مبكراً، ويبدو أن ذلك جعله يفقد الأمل في أن يرزق بالولد، وقرر أن يستبدل "الولد" بابنته "صفية".

جاءت "صفية" إلى هذا العالم من أم "شركسية"، قيل إنها سبيت أثناء إحدى الحروب الروسية - التركية، وبيعت إلى مصر حيث اشتراها الشيخ عبد الخالق السادات، وقيل إنها اختطفت لصالح تجار الرقيق وهي في سن السابعة، وبيعت في استانبول ومنها إلى القاهرة حيث بيت السادات، في ذلك الزمان من القرن التاسع عشر كانت الجوارى تباع وتشترى في القاهرة ومعظم عواصم البلدان التي تتبع الخلافة العثمانية، في بيت السادات تعلمت الجارية الجميلة اللغة العربية وتزوجها رجل البيت، فأنجبت أسماء ثم صفية..

حملت "صفية" ملامح والدتها وجمالها، فسعد بها والدها وقرر أن يستعيز بها عن الولد الذي تمناه ولم يأت، وهكذا كان يصطحبها في مجالسه وبين جلساته وتشترك معه في الصالونات التي يعقدها أو يحضرها، وكانت قد تعلمت اللغة

الفرنسية إلى جوار العربية، على عادة فتيات الأرستقراطية المصرية آنذاك. والحقيقة أن بيت السادات كان أقرب إلى أن يكون بيت حكم أكثر من أى شئ آخر، فهذه الأسرة تعود إلى عدة قرون في مصر قبل ذلك، وكان منها السيد أبو الأنوار السادات الذى عرف أيام الحملة الفرنسية على مصر، وكان واسع الثراء إلى حد أن ثروته فاقت ثروة محمد على والى مصر، ويقال فى أساطير العائلة إن محمد على أراد الزواج بابنة الشيخ السادات ، لكن الأخير رفض لأنه شعر بأن الوالى لديه مطامع فى ثروته.. كانت ثروة ونفوذ "السادات الوفائية" تأتى من الأوقاف الضخمة التى تتبعهم، والمريدين فى شتى أنحاء مصر بل وخارجها، وهؤلاء جميعا وما يمتلكون يعتبرون أنفسهم "محاسيب" السادات.. وحين توفى - مثلا - والد عبد الخالق وكان طفلا فإن الذى تولى الوصاية عليه كان الخديو إسماعيل شخصيا، ولما كبر وبلغ سن الرشد سلمه أملاكه وإن اقتطع منها "عربخانة" فى منطقة بولاق أبو العلا، وضمها إلى أملاكه . هى الآن "متحف المركبات الملكية" .

وهكذا كان لدى الشيخ عبد الخالق النفوذ والمال والاسم الرنان، فتأتيه الجوارى من كل مكان، يشتري من يشاء ويتزوج من يهوى، ويفعل ما يحلو له وما يريد، وما يقوم به لا يكون موضع اعتراض.. وهكذا حين اصطحب ابنته إلى المنتديات ومجالسه لم ينكر أحد عليه ذلك، بل وجد الاستحسان والترحيب رغم أن ظروف المجتمع المصرى وقتها لم تكن تحبذ ذلك، بل لم تكن تبيحه بالمرّة.

كان الشيخ عبد الخالق السادات معجبا بعلى يوسف صاحب ورئيس تحرير "المؤيد" .. والواقع أنه لم يكن وحده الذى يحمل له هذا الإعجاب بل عامة المصريين، وقد كان يستحق هذا الإعجاب والتقدير لطبيعة الدور الذى قام به فى الحياة المصرية .. فهذا الصعيدى الذى ولد سنة ١٨٦٣ فى قرية "بلصفورة" بسوهاج، فى أسرة بسيطة ومتواضعة، ثم انتقل إلى "بنى عدى" شمالا فى أسبوط حيث علمه أخواله ودفعوا به إلى الأزهر بالقاهرة، ولم تستهوه حياة العلماء فاتجه إلى الصحافة مؤسسا مع صديقه الشيخ "أحمد ماضى" مجلة "الآداب" سنة ١٨٨٧ ونجحت المجلة التى اهتمت بالقضايا الفكرية والحضارية، وبعد سنتين ترك على يوسف الآداب ليؤسس هو وصديقه "المؤيد"، التى نجحت هى الأخرى.. وليس صحيحا ما رده البعض من أن صورة الصحافة آنذاك كانت مزرية أو أنها كانت مهنة من لا مهنة له، فقد اضطلعت الصحافة بدور وطنى وحضارى ضخم، فقد كان عبدالله النديم صحافيا وكذلك الشيخ محمد عبده وقبلهما رفاعة الطهطاوى، وكانت الصحف تعبيرا عن تيارات سياسية ووطنية لها أنصارها وخصومها، وبعد فشل الثورة العرابية وهزيمتها فى التل الكبير والاحتلال الإنجليزى لمصر تحول عبء الحفاظ على بقايا الحركة الوطنية ودعمها على الصحف والصحافيين، وهذا سر نجاح "المؤيد" وعلى يوسف. وبعد الاحتلال تأسست عدة صحف كان

همها الدفاع عن الاحتلال الإنجليزي لمصر، وعلى رأس هذه الصحف كانت "المقطم" وكانت "الاتحاد المصري"، حتى "المقتطف" التي كانت علمية بالأساس بدأت تنشر هي الأخرى مقالات سياسية لمساندة الاحتلال، أما جريدة مثل "الأهرام"، فكانت منحازة للفرنسيين ضد البريطانيين في صراعهم من أجل الفوز بمصر، لكنها لم تكن منحازة للقضية الوطنية وللروية المصرية..

أخذ علي يوسف على عاتقه في "المؤيد" الدفاع عن وجهة النظر والموقف المصري، ومهاجمة الاحتلال البريطاني بضرارة، الأمر الذي جعل المصريين يتعلقون بهذه الصحيفة ويساندونها ويعجبون برئيس تحريرها ومواقفه وكتاباته، ولما كان الخديو عباس حلمي معاديا آنذاك للاحتلال فقد ساند "المؤيد" وصار علي يوسف صديقا مقربا منه، ونال علي يوسف أيضا إعجاب السلطان عبد الحميد - خليفة المسلمين - وزار الأستانة وصار من المسموعين لدى السلطان، فيما يخص شئون مصر والمصريين.. ومما زاد من قدر علي يوسف في نظر المصريين أنه كان "مصريا" بينما كانت معظم الصحف التي تساند الاحتلال وتدافع عنه، يصدرها صحافيون شوام<sup>(١)</sup>.. وازداد تعلق المصريين بعلي يوسف حين بدا أن

---

(١) راجع في ذلك د. سامي عزيز "الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي". الفصل الخامس - صفحة ١٢٥ وما بعدها - الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - وزارة الثقافة - ١٩٦٨.

اللورد كرومر يحارب صراحة وبوضوح جريدة "المؤيد" وقد بدا ذلك جليا في قضية "التلغراف".

ولا نعرف هل أعجب الشيخ السادات بعلى يوسف للأسباب التي أعجب بها عامة المصريين أم لأنه كان صديقا للخديو ومقربا من الأستانة وسراى "يلدز" !! وإن كان الواضح أمامنا أن إعجابه كان للسبب الأخير، ومن ثم فقد كان إعجابا لا يحلو من انتهازية.

### ٣

في الأسبوع الأخير من ديسمبر سنة ١٩٠٠ كان المصريون يترقبون ظهور هلال شهر رمضان وكان الشيخ السادات من بين المنتظرين وفي الليلة المرتقبة ، طلب السادات من ابنته صفية أن تتصل تليفونيا بالمؤيد لتعرف له هل ثبت الهلال.. وكان الشيخ على يوسف هو الذى يسهر يوميا فى الجريدة إلى وقت متأخر حتى يتأكد من انتهاء عدد اليوم التالى، ولما اتصلت صفية كان هو الذى تلقى المكالمة . وبالإضافة إلى ميزات على يوسف السابقة، فقد كانت به مزية أخرى هى أنه عذب الصوت وساحر الكلمات، وكان أن تلقت صفية عذوبة هذا الصوت، ودارت بينهما المكالمة وقد وقع الإعجاب أو ولد الحب جنينا بينهما، وكان كل منهما ينتظر هذا الحب ومهيئا له، وربما أعقبت المكالمة مكالمات، وتطورت الأمور إلى الخطبة والزواج على النحو الذى عرفناه.

فى الوقت الذى كان الشيخ السادات يضع العقبات أمام إتمام الزواج، كان الحب قائما بين على وصفية، وكانت الرسائل العاطفية والغرامية قائمة بينهما، وكان الحذر قائما لدى الطرفين ، لذا فإن على يوسف لم يأمن أحدا من العاملين معه أو معارفه ليحمل رسائله إليها أو العكس وقامت بهذه المهمة صديقتان إنجليزيتان لصفية وكانتا شقيقتين ، فقد تولتا حمل الرسائل ونقلها، وهو بالتاكيد كان خيارا موفقا، فلم تكن الإنجليزيتان تتحدثان العربية ومن ثم لن تثرثرا حول هذا الأمر، فضلا عن أنهما لن تقرأ ما بها. والواضح أنهما حفظتا السر، ولو أن أمر هذه الرسائل تسرب، أو وصلت إحداها إلى أيدى السادات لما تورع عن استغلالها أثناء نظر القضية، ولكن طوال الأزمة لم يرد أى ذكر على الإطلاق لأمر هذه الرسائل، الأمر الذى يؤكد أن السر "كان فى بير" كما يردد المصريون.

ولعل الحذر البالغ فى أمر هذه الرسائل مصدر المشكلات التى تحيط بها ، فلم يكن أى منهما يؤرخ الرسائل - قبل الزواج - باستثناء رسالتين فقط منه ، الأولى تحمل تاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٠١ وهى واضحة ومقروءة ويتحدث فيها عن "كتب الكتاب" أى أنها بعد مدة من بدء العلاقة بينهما ، والثانية بتاريخ سنة ١٩٠٤. والواضح أنها كانت قبل إتمام الزواج مباشرة. ولا نعرف لماذا لم يؤرخا الرسائل، ولكن ربما اتقاء لاحتمال وقوعها فى يد غريبة أو تمر أمام عين متطفلة أو فضولية، وقد أوقعنا ذلك فى حيرة حقيقية ، فنحن لا نعرف على وجه التحديد متى بدأت المراسلات، ومن ثم متى وكيف

نما الحب بينهما ونضج، كذلك لا نعرف ترتيب الرسائل والردود عليها. ولكن يمكن أن نصل إلى ترتيب عام لها من حيث السياق والمضمون ودرجة الحذر.. فالحذر الشديد يمكن أن يكون في البداية ثم يخف تدريجياً، وتأسيساً على هذا فإن الرسائل بدأت بتوقعات أقرب إلى الشفرة مثل "مفهوم". "معلوم" .. "المعهد" .. "الخال"، وكلمة "الخال" هذه تتضح من الرسائل لأنه كان يعتبر والدتها مثل أخته، وذلك لأنها كانت تعلم بقصة الحب بينهما وكانت تتمنى إتمام الزواج، ولكن الكلمة الأخيرة في هذا الأمر لم تكن لها بل، للزوج الشيخ عبد الخالق . وفي معظم الرسائل كان يبعث إليها بالسلام ويتحدث عنها باسم "أختي".

ويمكن القول إنه كان الأكثر حذراً فلم يوقع أى رسالة باسمه صريحاً، فقد كان يخاطبها "حضرة العزيز" والتوقيع "مفهوم"، أو "عزيزى الأعز" والتوقيع "أخوك" وهكذا.. ثم بعد ذلك بدأ يخفف من حذره، فيخاطبها "حبيبتي صفية" والتوقيع "معلوم" وصار أكثر جرأة فكان يوقع الرسائل باسم "عليك" وصار أكثر عشقاً فأخذ يوقع "صفيك" أو يخاطبها "حبيبتي الصفية الوفية" أو "حبيبتي صفيتي".

أما هي فكانت الأقل حذراً ولم تلتزم الحذر فى غير رسالة أو رسالتين. ثم كانت تذكر اسمه أو اسمها فى الرسالة وربما الاثنتين معاً.. فتخاطبه "عزيزى الأعز الأوحـد" وتوقعها "صفيتك" أو "عزيزى الأمجد على يوسف" أو "عزيزى المكرم على يوسف".

تكشف الرسائل - وليس في ذلك مفاجأة<sup>١</sup> - عن أسلوبه السلس وتمرسه بإزاء أسلوبها العامي والركيك غالباً، حيث نشعر من الرسائل أنها تكتب بصعوبة وبمعاناة، فلم تكن كاتبة ولا صحافية ولم تتعلم في الأزهر مثله، بل لم تدرس العربية ولكنها تعلمت الفرنسية، كذلك فإن خطها كان رديناً، ولكنه ليس أكثر رداءة من خطوط أيامنا التي نعيشها الآن، بينما كان خطه جميلاً وواضحاً . ولا نعرف هل كان ذلك سبباً في قلة كتابتها إليه وكثرة كتابته إليها، أم أن الرسائل لم تصلنا كاملة...!! فرسانله تتجاوز ثلاثة أضعاف عدد رسائلها، وكان هو المبادر بالكتابة، فرسانلها - في معظمها - ردود على رسائل وأفكار وكلمات قالها في رسائله .. عموماً فإن كل ما أتيج لى الحصول عليه ١٩ رسالة إليه منها وأكثر من خمسين رسالة بخطه إليها.

بعض رسائلها تتميز بوضوح الأسلوب - مثل الرسالة رقم ١٢ . مما يدفعنا لأن نتصور أن هناك من كتب لها هذه الرسالة المتميزة. ولكن الرسائل كانت جميعاً مكتوبة بخطها هى.

وتختلف أقدار الناس وأدوارهم الاجتماعية ولكنهم لا يختلفون كثيراً أمام المشاعر والعواطف ، فها هو على يوسف الكاتب والصحافى والسياسى البارز، صديق الخديو عباس حلمى والمقرب من السلطان عبد الحميد، محب هاتم وعاشق هيمان، حوله الشوق إلى كتلة من العواطف المتأججة والمشاعر الملتهبة مثل أى فتى ينلهم إلى رؤية فتاته، ويشتاق إلى كلمة

---

واحدة منها . إنه الحب الذى يغلب سلطانه كل سلطان،  
ويضعف أمامه الأقوياء، ولذا نقل عن ابن عباس أن "ثوب  
العشاق ثوب اضطرار.. لا اختيار".

#### ٤

أتيج لى أن أطلع على هذه الرسائل فى أول ديسمبر  
١٩٩٥، عبر ابنتى الشيخ على يوسف وصفية السادات، السيدة  
بثينة على يوسف إحدى أبرز العاملات فى العمل الاجتماعى  
والخيرى منذ الأربعينيات والسيدة ليلى على يوسف، وأعطتلى  
السيدة بثينة نسخة كاملة من الرسائل المتبادلة بين والديها، وقد  
أشرت إلى تلك الرسائل ونشرت مقتطفات منها فى تحقيق  
بمجلة المصور - عدد ٨ ديسمبر ١٩٩٥. وكان المثقفون  
المصريون آنذاك مشغولين بقضية التفريق بين د. نصر حامد  
أبو زيد وزوجته د. ابتهاج يونس. ورغم الملابس المختلفة  
والمتباينة للقضيتين فقد وجدته مدفوعا لأن أقوم ببحث وتحقيق  
قضية الشيخ على يوسف وصفية السادات، خاصة وقد شرعت  
فى إعداد هذه الرسائل للنشر.

وهناك أربع رسائل لم أتمكن من نشرها، لتأكل  
خطوطها وصعوبة التحقق من كلماتها، وهى ثلاث رسائل من  
الشيخ على والرابعة من صفية. وقد أثرت أن أقدم الرسائل كما  
هى دون أى تدخل منى، فقد صارت وثائق لا يجوز لأحد  
التدخل فيها.

---

---

رسائل الشيخ على يوسف إليها



## أخي العزيز الأعز

وصلنى كتابك الكريم، وقد ابتهج قلبى سرورا لما علمت أنك أنت الذى قرأت الكتابين المرسلين منى بالإسكندرية، وأنت الذى وضعت بيدك الكريمة الخطاب المرسل لى فى ظرفه وأنت تعلم المقصود من كتبى ومن كثرة زيارتى. نعم إنك المقصود أولا وأخرا ولا تلم على فى ذلك. ومتى كنت المقصود كان والدك وجميع من تحب من جملة أحبابى أيضا لأن حبيب بحيب حبيب. ولقد عدت إلى لومى عن زيارتك المنزل المقصود مرتين مع اعتذارى عنه. ولولا أن هذا الطرس يضيق عن شرح الحال فى هذا المقام لبرهنت لك على أنى كنت محقا فيما فعلت، وأننى كنت أحافظ على شرفك كل المحافظة وساقص عليك كل ما فى هذه المسئلة عند اللقاء القريب إن شاء الله.

بقى على أن أعيد إليك القول بأن جميع افكارى وأمالى وأمالى محصورة فيك سواء صدقت أو لم تصدق. لا أستغفر الله إنك مصدق ذلك لأن التيار الكهربائى المتدفق من جميع معالم الحسن والجمال التى خصك الله بها وهو التيار المؤثر على جميع حواسى وعواطفى لا بد أن يكون له رد فعل يشعر به قلبك الرحيم. وعند ذاك تفكر أننى المتفانى فى حبك وحقك الطالب معك عيشة خالدا وهوى متفقا. فأرجوك أن تراجع قلبك عندما تريد أن تكتب لى خطابا مثل هذا. والسلام على روحى التى هى أنت فى حياة طيبة أفندم.

(معلوم)

## حبيبتى وصفوة فؤادى صفيتى

وصلنى كتابك الجميل اللطيف . وإنى أشكر على كل كلمة فيه وأشكر عواطفك الشريفة على ما ملأت به الكتاب رقة وإخلاصا ومنة ولطفاء، وأن الكلام الجميل من محبوب جميل ليفعل فى القلب من تصاريف الحب ما لا يفعله الدلال أو شرود الغزال بل أضعاف ما يفعله الجمال نفسه، وإن الصورة التى تفضلت بها على لى طبق الأصل من فتوغرافية القلب حتى كاد القلب يطبق عليها لما ضممته إليها. وإن صاحبك واختها قد لاحظتا على الشغف الزائد الذى تناولته بها وقد عذبتى كثيرا حتى ناولتني إياها فكانت عاقبة هذا العذاب عذوبة ما أبردها على قلبى الهيمان. وقد وضعتها فى مكتبتي الخصوصية لأنظرها ما بين كل لحظة وأخرى وكانت فى يدي قبل أن اتناول الكتاب أقلب فيها بصرى وقلبي وأقلب عليها فؤادى وأحشائى الملتهبة تعللا بطيف المحبوب فى اليقظة بدل الطيف فى المنام. وقد لا يكفينى ما ترسلينه لى من القبل على صفحة خد الطرس شينا لو لم تكن الصورة بين يدي أقبلها ساعة بعد أخرى. ولولا ذلك ما استطعت أن أنس تلك الهفوة التى فرطت من قلمك (لا من قلبك) بلا حساب. فكيف والحالة هذه تزهق نفسى من كمية قبل لا تسمن ولا تغنى من جوع ومن ظما.

قولى إننى شره لا يشبعنى ولا يروينى شئ. قولى كما تشاءين فإنه لا يغنينى عنك شئ من لذات الخيال فى هذا

---

الوجود. وإن مكنتني منك بالذات تكوني قد ضاعفت إحسان  
جمالك على محبك الولهان. أقدم لك أحسن تهاني القلب ولاختي  
أشرف تحايا الاحترام من أجل رمضان وأسأل الله أن لا  
ينقضي حتى يكون شلمنا مجتمعا بعقد القران آمين.

عليك

## حبيبتى صفية

وصلنى كتابك الجميل. وبعد قليل لكلامه مع المسلوب  
قيمة لأننى كنت حكيت له كل شئى سألنى عنه وهو يضطرنى  
أن لا أنكر له بعض الأشياء لأنه يخبر بكل شئى . أمثال خليل  
والمسلوب وهل يليق أن أجعل أسرار الجنب فى أفواه هؤلاء .  
قلت له فى خطاب سابق إننى حكيت له شئنا عن السيد البكرى  
وما جرى له مع الجنب فحكاها فى الحال للشيخ حسن و خليل  
وغيرهما فماذا تريدين.

ليلة عيد الجلوس تخلصت منه لأجلك فهل كنت تحبين  
أن أحبس نفسى معه وأحرم منك . سأسأله عن ليلة الأقباط  
وأذهب معه.

أما مسألة الأمس فقد سألته أن يعطينى كلمة نهائية  
لتحديد يوم العقد. وقد كلمته بما لم يستطع أن يفوه معه بكلمة  
فوعدنى أن يعطينى الجواب فى ظرف يومين. وحيث إن عبد  
الله العوامرى سيحضر اليوم إن لم يكن حضر مساء أمس  
فسأحيله عليه ورأيت أن أجعل الكلام قبل حضوره حتى لا  
يقول إنه مستعين به. وفى الختام أسألك قبلة المحب الصادق  
وأسلم عليك الوفا وعلى والدتك المصونة.

أخوك

المخلص

وقرينك المحب

## صفية روى وحببية قلبى ومالكة لى الوفية

وصلنى كتابك الذى هو نفحة من جمالك ووفائك فزاد  
 نار الحب اشتعالا وانا احلف لك بشرف حبك ووفائك اننى  
 قضيت ليلة الامس فى مناغاة بين الروح والجسد كما حكيت  
 واستيقظت مرتين اشاهد صورتك بجانبى حتى امتع نظرى  
 بشئ من الحقيقة الصورية بعد خيال الطيف وطيف الخيال. فيا  
 حبيبتى ان قولك (فوالله يا روى لولا المكاتبة بيننا ما عشت  
 اياما) هو حكاية حال نطق به لسان الروح عن الجسم. فعيشى  
 لى وكونى حياتى الى الابد. واقبلك مثل تلك القبل فى اليقظة  
 والمنام. والسلام على اختك العزيزة الوفا.

عليك

ووفيك الى الابد

## حبيبتى الصفية الوفية

وافانى كتابك اللطيف وكله وعاء لإحساسات الحب  
الخالص. فأقبل على الرأس والعين كل كلامك وإن لم يكن على  
حق فى شئى لأننى كتبت لك ما فى ضميرى . نعم قلت وأكرر  
القول لك إن حبك هو الذى يأمر فاطيع لا أنت . فقولى لأمك  
إنه يعصينى ويطيع سلطان حبى عليه، عساها تشاركك فى  
زعلك من هذه الكلمة. وإننى قد عرفت كيف أحرك ساكن حبك  
لى، فأحملك السلام اليوم إلى فلانة وغدا إلى فلانة لأننى أهيج  
بذلك عوامل حبك لى وهو ما لا أريد سواه.

إننى كنت أخطب بنت فلان وفلان لا لأدارى  
مصاهرتى لوالدك ولكن لأدارى غرامى بك وقد كاد يفتضح  
عند الناس أجمعين. لا منى ولا منك ولكن من أعدائنا الذين  
كانوا يختلقون ويقولون إننا اجتمعنا واجتمعنا وقضينا  
ديون الغرام. حسبهم الله. والآن عرف الكل أننى خاطب مجد  
وجمال فليقولوا ما شاءوا. أنا خرجت يوم الجمعة مسرعا لأنه  
كان لابد لى أن أركب قطار الساعة ٢ بعد الظهر الذاهب للقبة  
ووالدك يعرف ذلك.

كيف سمح لك والدك بمخاطبتى أمس ومن كان معكم  
فى القاعة. ولما ركبنا معا استلقت نظرى للعربة. فقال أرايت  
العربة اللطيفة ذات اللون الفستقى الغامق. إنها جميلة جدا. فلما  
مررنا عليها ونظرتك لا العربة قلت نعم إنها جميلة جدا ولطيفة

---

جدا ونوقها لطيف. وهو الذى قال للعرجى مر من جوارها .  
ولما كنا سائرين ورجعنا وكنتم فى مقابلتنا وتقابلت الوجوه  
والأعين. كرر السؤال فقلت إنها أحسن عربية رأيتهما وقد  
لحظنى كثيرا وأنا أنظر إليك. ولما ركبنا للعودة قلت له إنى  
انزعجت كثيرا لأننى ظننت العربية التى عبث جوادها هى  
عربتكم وحمدت الله بعد ذلك على أنها غيرها. فقال إن خيلنا  
هادئة. قلت الحمد لله على أنها هادئة (وهو لا يعلم أنها كانت  
تعبث بنفسى أكثر من عبث الجوادين السابقين). كل حفلة وأنت  
بخير.

أقبل وجناتك ألوف الألف وأسلم على والدتك. وأسألك  
بحبها لك وحبك لها واحترامى لها أن تقولى لها إنه يعصينى  
ويطيع حبنى وهو الذنب (الذى)<sup>(١)</sup> لا أنساه له حتى فى الجنة إن  
كنا من أهلها. فما أعظم هذا الذنب وما أكبره شفيعا يوم تقل  
الشفعاء.

عليك

---

(١) أضفنا هذه الكلمة رغم أنها ليست موجودة فى الأصل ، حتى تستقيم  
الجملة.

## حبيبتي صافية

أهنتك ألوقا بالعام الجديد الهجرى وأسأل الله أن يعيده  
علينا معا كما نحب ونشتهى.

حبيبتي أنت تعلمين مقدار حبى لك وشغفى بك وتعلمين  
أنى إن لم أف بوعدى فى الحضور الليلة المعهودة فذلك لأمر  
فوق كل أمر وهو أنى سهرت مع والدك للساعة المحدودة كما  
قلت لرافع هذا. وإذا توجهت فلا يكون ذلك إلا بعد ساعة  
أخرى وألبث عندك مثل ذلك أو أكثر فتكون الساعة بين ٨ و ٩.  
فهل تريدان أن يكون مرورى من شارعكم فى مثل هذا الحين.  
وإذا رأتى من يعرفنى فما جوابى له وإذا علم أحد بخروجى من  
داركم هذه اللحظة فماذا يقول. وإذا سمع والدك بعد ذلك فماذا  
يكون. ألا تكون النتيجة أن نحرم من الاقتران الذى هو بغيتنا  
الوحيدة. ألا تعلمين أن أقل الساعة ٩ من هذا القيل تؤثر علينا  
الآن أضعاف ما كانت تؤثر من قبل.

ألا ترين أعداءنا كثيرين ويتمنون أن تكون لنا هفوة  
كهذه. إنك لا تعلمين أنى ما نمت لحظة فى تلك الليلة وكلما  
فكرت أنك انتظرتينى ولو برهة من الزمن يكاد قلبى ينفطر.  
هل تحتاجين إلى كتابة مثل هذه توضيح أعذارا كهذه. ألا يكفى  
أن نطوى هذه الأعذار بين الجوانح. أنا إن كنت وعدت أنى  
أزور فى تلك الساعة فذلك لأن الحب استخف بنفسى فوعدت.  
وإن كنت أخلفت الوعد فذلك لأن حساب الشرف وحساب قرب

---

الاقتران وحساب الهواجس الكثيرة التي تخطر ببال من لا يجازف بناموس حبيبته كل ذلك أقعدني عن التوجه وعندك مندوحة للقاء وهي أن تزوريني كما تعلمين وهناك غاية الأمن من كل وجه.

أنا إذا لم أزر والدك فهو لأنى أخاف الغلط ووضع رجل على رجل فأكدر خاطره ولا أحب ذلك. المؤيد الفرنسي قد أبطلناه من أول السنة لأسباب أوجبت إيقافه وأهمها حصول علاقات سياسية لا يمكننى تداركها والمترجمون متساهلون. خالك يسلم على أخته ألوف ويقبل وجنات بنت أخته ويلثم فاها آها .

الخال

## حبيبتى صفية

جاءنى كتابك اللطيف فقبلته بأهداب عينى ولثمته  
 بشفتى قلبى وقرأته بمهجتى واتخذته حجابا لكبدى أن يذوب من  
 الجوى ولعله هو لا يذيبه. يرينى السيد وأريه استعدادا لخدمته  
 كثيرا وقد نقلت له كلاما عن الجناب ونقلت للجناب كلاما  
 صيرهما ممنونيته من بعضهما، وكان يريد مقابلته لطلب  
 يختص بالشيخ سليم فمهدت له ذلك وافهمته مع هذا وذاك إن  
 الولد المخلول لا يحب زواجى بك وقلت له لا تصدق أبدا إن  
 فهمت منه اهتماما. لأنه أولا يكره صفية فلا يحب أن تتزوج  
 برجل ذى شأن ومقام. وثانيا يخشى أن يظهر الفرق بعد  
 زواجى بين معاملته لزوجته ومعاملتى لأختها. وثالثا يخشى  
 أننى ألعب به وأقذف به من حالى لأنه يعلم أن هفواته كثيرة  
 وأنى أقدر على إسقاطه فى الوقت الذى أريد. فاعجبه كل هذا  
 الكلام وقال صدقت.

واستشارنى فيماذا يعمل بطلب أسماء لابن أخيه فقلت  
 إنى لا أعطى رأيا تاما لأنك أعلم بمصلحتك فى هذا الموضوع  
 وأردفت ذلك. فراق لنفسه وقد كان مصغيا تمام الإصغاء  
 فانعطفت على مسألتنا فرأيت منه بشاشة ولطفا وارتياحا وقلت  
 موعدنا صدور الحكم فى قضية الحارس فقال نعم. نعم، حاضر  
 . حاضر. يا ليت ركوبك العربية كان أنزلنا وإن شاء الله  
 يكون قريبا. بس حاسبى على نفسك من الفرح.

---

حبيبتي. أخبرني والدك بما قال لك في مسئلة المصاغ  
وبالألفاظ التي وردت بينكما وهي علامة أخرى وكأنه كان  
يريد أن يقول اسألها. كنت أظن أن صاحبك الإنكليزية أخبرتك  
بكل شيء ولأجلك قد فعلت ما فعلت ولكني تأسفت كثيرا لأنها  
لم تحضر مدينتنا وإن شاء الله أرى فرصة قريبة لدعوتها  
وأخواتها إن أحببت .

أقبل وجناتك والتم ثغرك وأهصر خصرك وو.. إلخ.  
اسمحي لي بمقابلة. ومتى جئت أخبري رسولك ليعرف المحل  
والوقت، أستحلفك بحبي لك أن لا تبخلي بها. وأسلم على أختي  
الوفا.

محب صفية  
وحبيبها

## حبيبتى الوحيدة

أخذت كتابك وأنا فى أشد الانتظار له بعد تلك الصدفة الجميلة التى جعلتلى لا أعى ما أخاطب به صديقى الذى كنت أتفرج به على المنزل فأنت كنت تدوسين على الحمام وأنا قلبى كان يرفرف كأنه ذلك الحمام الذى تدوسينه. دعينى من كل ما يتعلق بالمويلحية الآن لأنى مشغول جدا ولكن أكبر إهانة لى أن تقولى إنك طلبت عريزة ورددت وقيل لى كيت وكيت. والنهاية أنى أرسل لك مع رافعه هدية صغيرة كنت مستعدا لأن أسلمها لك يدا بيد تذكارا من سفرى فتفضلى بقبولها وأفيدنى عنها حتى أطمئن بوصولها. وأنا ما فهمت بقولك هل الولد له عادة أن يزورك صباحا. إذا كان الغرض ذلك المخلول فنعم يزورنى فى بعض الأيام لا كلها. هل تستطيعين أن تزورى صباحا، أو كما تقولين فى آخر خطابك لا يمكنك أن تزورى إلا على نية الاستيطان. أسأل الله أن يكون هذا قريبا. وأقبل الآن وجناتك وأسلم على والدتك ألوفاً.

أخوك

## حبيبتى وروحى

وصلنى كتابك الذى قرأت منه هواجس قلبى وأسأل الله معك أن يهديه . وأما توجهى لمنزل المخلول فذلك بعد ما كرر الزيارة والإلحاح والعريس بل ترجانى كثيرا وقال إن من مصلحتك أن لا تقاطعه فى الوقت الذى تقاطع فيه فلانا لأنه فى الحقيقة لا يحب المصاهرة ولكنه مضطر أن يعمل لتحقيقها. فإذا قاطعته بنفور ظاهر منك كانت له مندوحة إلى العمل عكس الغرض، وعلى هذا أنا صممت أن الاطفه وأزوره كل حين تعللا معه الكلام فى الموضوع محترسا من خباثته.

أما المخلول الطويل فإنى لم أكلمه كلمة ولكن صرت إذا رأيته لا ألتفت إليه وقد جاء أول أمس عندنا وجلس وقام فما كلمته كلمة واحدة ولم أخاطب أحدا ليخاطبه ولا أدرى ماذا يقول للرجل فيكره به. أما الفتوى فقد اطلع عليها أحمد بك ولا بد أن يكون أخبره بأمرها لأننى بعد اطلاعه لم أره وقد علم بها البكرى من غيرى وسألنى عنها فقلت نعم. زرت صاحبك مرتين فى هذا الأسبوع الأولى يوم السبت الماضى والثانية أمس ظنا أنها تكون زارتك وما كنت أعلم بانتقبالكم من محلكم إلى الجهة الأخرى وسامر الليلة لأخبرها بذلك فقط ولا أدخل.

إذا أردتم السفر للإسكندرية فأخبرينى قبل ذلك بيومين لأببر طريقة سفرى وأخبرك ولكنى مع ذلك فى ريبة من تمكنا

---

من المقابلة لأننى لا أعلم الآن كيف نتقابل.  
أسلم على حبيبتي وأختطف منها ملايين القبل بشوق لا  
يعلم قدره غير الله وأسلم على أختي المصونة الوفا.

عليك

## حبيبتى صفية

وصلنى مكتوبك الأول ومكتوب اليوم وأشكرك ألف  
ألف شكر وأقول لك إننى لما رأيته يومئذ على حين غفلة كاد  
قلبى ينفطر واستولى على حزن لم أملك نفسى معه وبت ليلتها  
كالملسوع لا أستقر على جنب وكانوا يستغربون من حالتى  
حتى قالوا قبل أن تتفسح فى الجزيرة كنت على غير حالة  
الكر الذى عدت بها. وحكى هذه العبارة لصاحبته أمس.  
وكنت أود أن أسمع وأقبل كل ما تقولين ولكن ما الحيلة إذا كان  
الصبر - وأنا من أصبر الناس - يخوننى، وعلى كل حال  
أصبر رغم نفسى وأنفى ويفعل الله ما يشاء.

أخبرنى ذلك الباشا أمس بعبارة (العجائب) وما رأيته  
للآن وطلبت من أحد العمال إحضارها لى اليوم. دعينا من  
أقوال الجرائد. وأخبرك أنى لست متوجها للتياترو ولأننى لا  
أريد أن أرى الرجل فضلا عن أنى لا أعرف كيف أراك وكيف  
أنظر إليك فى مثل هذا المحل. وإن المنام طويل ولطيف ويدل  
على شئ يقضى إن شاء الله وسأزور المشهد الحسينى كامرك  
وأتوسل به إلى الله فى قضاء حاجتنا.

أنا فهمت من صاحبته ضعف قلب والدتك وعسى الله  
أن يأتينا بقوة تكسر الصخر حتى يختص الأسد بغزاله قريبا  
وهو يقبله ملايين ويسلم على والدتك ألوف الألوف.  
تقويم المؤيد ودليل المولد، وأصلان مع رافع هذا ومن  
قلبى لقلبك قبة القبل.

صاحب الغزال

صفيك

## عزى الأعر

وصلنى كتابك الكريم فشكرت حسن رعايتك وجميل وفائك ومحافظتك على إحساساتى التى تتحصر دائما فيك وفى بناء كل ناموسك وسعادتك الأدبية لك ولى فقط ويقينى أنك ستراقب هذا فى شرك وعلتك دائما لأن قلبى يرعاك ويراقبك فى كل حركة وسكون. تكلمت كثيرا مع يوسف أفندى فى شأن الوقفية الجديدة ، والخوف كله من تعطيل والدك. والدك يظهر لى الانعطاف التام المستمر فإله يحسن العاقبة.

السيد الصهر كان منزعا منك - الكلام فى شرك - وقال إنك أشرت له بإصبعك ساعة نزول عروسه كمن يهدده - والذى روى له ذلك مرسى<sup>(١)</sup> - فقلت لا تخف ، والضمان على بعد كلام طويل جدا كان فيه يظهر الطفل المرتجف (فى شرك جدا) فهل حصل شئ من هذا أو هل تفوهتم بكلمة أو أبديتهم إشارة . أرجو أن تخبرونى بحقيقة الواقع بلا مواربة ولا إخفاء شئ . أقبل وجناتك وأسلم على والدتك وإن شاء الله سأذهب لصاحبك الإنكليزى فاعتذر له عن التقصير والسلام.

أخوك

(١) كان أحد العاملين فى منزل السادات.

### حبيبتي صفية

وصلنى كتابك الأعز وإبنى أعلم مقدار مشغوليتك الآن  
كما تعلمين مقدار مشغوليتى وأن النوم لم يزر أجفانى الليلة إلا  
بعد الساعة الرابعة بعد نصف الليل ورأسى تضرب الآن  
بالصداع ولكثرة الفكر والقلق.

سأتوجه عند المخلول وأعلم ماذا جرى ولكن كان فى  
عزمى أن أجيئ عندكم اليوم ولا أزال مترددا ولما علمت خبر  
توجهه أمس بالتليفون أخبرت العريس بك بالتليفون وهو خاطب  
المخلول بالتليفون أيضا وقال له إنه حاضر عنده فاجابه أن  
السيد عنده فقال انتبه لعاقبة أمرك لأن الجناب يرمى عليك كل  
مسئولية وأفهمه أن عنده كلاما مهما مأمورا بتبليغه إياه وكل  
هذا حتى لا يتفق معه على تدبير فكرة للتخلص.

وأرجوك أن تخفى عنك مشغولية الأمر محافظة على  
صحتك التى هى عندى أعز شئى ووالدك الآن لا بد أن يكون  
فى ورطة يشعر بشدة عاقبتها إذا خالف الأمر ولا أظنه يجسر  
على المخالفة بعدما رأى شدة الضغط عليه وأيضا لم يكن من  
اللائق أن لا يعطيه موعدا لأن مقام المتكلم معه يستلزم كل ما  
حصل وهو كل ما يمكن إجراؤه فى أول مرة وأقبلك ملايين  
وأسلم عليك كثيرا.

حبيبك

### عزيزتى وشقيقة روى صفيه

وصلنى كتابك الأكرم الأعز وقد فهمت كل ما به  
 وأرانى فى هذه اللحظة مضطرا للاقتصار فى الكتابة. وأنا لا  
 أظن أن السيد يرسل كتابا أو مبلغا ولكن هى حيرة تتردد بين  
 جوانحه ووساوس يصرفها عن نفسه بأخذ آراء أولئك اللئام  
 ومن الكذب المحض ما زعمه حموى من أن مرتضى بك  
 خاطبه أو بعث له رسولا فقد كنت سمعت ذلك وسألت البك  
 أمس فقال إنه كاذب بل أكون مجنونا لو خطر على بالى أن  
 أوسط حموى فى أمر زواج بنت السادات إلخ. وسأتوجه  
 لصديقتك والخلصة أنى لا أريد أن تأخذى درسا مطلقا وإذا  
 علمت أنه عاد لإعطائك درسا كان هذا درسا لى من الآن  
 والسلام على أختى الوفا وأقبل وجناتك ملايين واكتبى لى كل  
 صباح بما عندك فإنى كثير القلق عليك راغب فى أن تحيطينى  
 كل ساعة بما أنت عليه والسلام.

أخوك

وزوجك

وحبيبك

## حبيبتى صفية

تَقَبَّلْتُ كِتَابَكَ الشَّرِيفَ وَقَبَلْتَهُ بِأَهْدَابِ الْعَيْنِ وَقَرَأْتُ  
بَنُورَهَا الْمُنْبَعِثَ مِنْ سُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ حَبَا فِي كَاتِبِهِ . وَقَدْ فَهَمْتُ  
الْحِكَايَةَ وَنَفْسِي مَطْمَئِنَّةٌ بِأَنَّكَ لَا يَخْدَعُنَا الْآنَ . الْحَقِيقَةُ أَنَّ  
الْوَلَدَ الْمَخْلُولَ لَمْ يَشْتَرِ شَيْئًا مِنْ مُصْطَفَى بَكٍ صَادِقٍ بَلْ اكْتَرَى  
الْحَلْقَ الَّذِي لِبَسْتِهِ لِيَلْتَمِذَ . وَقَوْلُهَا أَنِّي أَرْجَعُ الْحَلْقَ لِأَنَّهُ لَمْ  
يَعْجِبْنِي بَرَهَانُ ظَاهِرٍ عَلَى ذَلِكَ . بَعْدَمَا قَرَأْتُ الْجَوَابَ وَقَبْلَ أَنْ  
أَكْتُبَ هَذَا طَلَبْتُ الْمَقَاوِلَ سَامِرَةً أَنْ يَبْدَأَ غَدًا بِهَدْمِ وَاجِهَةِ الْمَنْزِلِ  
طَوْعًا لِأَمْرِكَ وَالِدَتُكَ الْكَرِيمَةِ . وَلَوْ كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ وَاقِفَةً عِنْدَ هَذَا  
الْحَدِّ لَجَعَلْتُ نَفْسِي فَاعِلًا مِنْ جُمْلَةِ الْفَعْلَةِ الَّذِينَ يَبَاشِرُونَ الشَّغْلَ  
فِي الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ وَحَتَّى أَنْالَ بَغِيَّتِي (وَمَنْ طَلَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلِهِ  
الْمَهْرُ) سَلَمَى لِي عَلَيْهَا سَلَامٌ وَلَدَ بَارٍ وَآخَ مَطِيعٍ وَقَبْلَى لِي  
وَجَنَاتِكَ تَقْبِيلَ عَاشِقٍ وَلِهَآنِ إِنْ اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا وَإِلَّا  
فَدَعِينِي أَقْبِلْ وَأَقْبِلْ وَأَقْبِلْ وَالسَّلَامَ .

## أخوك

الَّذِي يَكَادُ يَطِيرُ قَلْقًا وَاتِّظَارًا

## حبيبتى الصفية الوفية

شرفنى كتابك اللطيف ولكن اليأس على العاقل حرام.  
وبيننا وبين مواعيده الأخيرة أيام قلائل فاصبرى كما اصبر  
واعلمى أننا طالبان صادقان وقيان وأبيان على غاية واحدة  
فمهمها كانت الصعوبات فى الطريق لابد أن ندرك متمنانا  
وبغية قلبينا. إن كانت النساء أوفى من الرجال فلأنك منهن  
ولكن ينبغى أن تعتقدى أن فى الرجال من يصدق ويفى ومهما  
قل الأوفياء فأنا من ذلك القليل وأسألى قلبك يصدقك الخبر.  
أرسل لك مع رافعه أسورة لتقيسها قبل أن أرسلها للجواهرى  
هنا يركب لها حبات اللؤلؤ. فإنه يظهر لى أنها أصغر من  
القياس ولكن القياس هو الميزان الصحيح فقيسها وأعيديها لى  
لأتممها أو أرجع الزوج للصانع الأصلى فى أسيوط يزيدنها  
كالمطلوب.

أقبل وجناتك وأسالك بإلحاح أن تمنى بمقابلة وأن  
تفيدنى بذلك إن تفضلت وأسلم على والدتك المصونة.  
ماذا قال لك مامون وهل قال لك إن ناظر المدرسة  
احتفل بزيارتى احتفالا لم يكن يخطر على بالى.

حبيبك

### حبيبتى وشقيقة روى صفة

وصلنى كتابك الأعز الأكرم. إتنى شعرت بمثل ما شعرت به عند المقابلة التى مرت كالبرق وقد خطف قلبى منك خاطف غير شقوق فقلت لا بأس لتفعل به ما تشاء فاليوم هو عندها وغدا هى عندى وسافعل بك أضعاف ما فعلت وتفعلين بقلبى يا قاسية القلب.

المخلول قابل السيد مرات آخرها مساء أمس وقد كلمه كلاما كثيرا وقال له لماذا أنت واضع عندك الجواهر فقال الست أمينا عليها فاجابه لست جواهرجيا والغرض أن تقضى فى الأمر بلا تردد. قال لست مترددا أنت ترمينى بدائك. وإنى قد أخذت الجواهر وسيان إن كانت فوق أو تحت وأمثال هذه الكلمات واتفقنا على أن نصبر لآخر الأسبوع ثم ننقض عليه بوطاة ينتهى بها الأمر فلا تقلقى. كان السيد منذ يومين فى الجزيرة وكنت نازلا أتمشى من العربة فوق الجسر الموصل للأهرام فلما اقترب منا أوقف العربة وسلمنا عليه وركبت معه إلى ما بعد الكوبرى ولم أخاطبه فى شئ. العوامرى حضر عندى ورأيت منه اهتماما كبيرا ووجوده نافع وإن شاء الله لا يذهب حتى يتم الأمر. إن شاء الله أزور صاحبك اليوم. ما تشانين فى العمارة يكون. أسلم على أختى ملايين الملايين وألثم ثغر بنتها بلطف الولهان العاشق الخاطب.

(الخال)

## حبيبتي صفية

ما انتظرت خطابك وأبطأ مثل هذا الخطاب الذي كنت صباح كل يوم أترقب مسيره فلا أراه والحمد لله على سلامته وسلامتك وسلامة قلبي الذي يحن عليك حنين الطفل للمرضع. كتبت لى المرة الماضية بأنك كنت مع صاحبك الإنكليزية للنزهة فهلا قصدت فى فرصة مثل هذه أن ترى محبك الذى يسعد برؤيتك ويشقى بالحرمان.

سيدتى وحبيبتى. أشكر حضرة والدتك المصونة على شريف إحساسها نحوى ولو رضيت لفعلت بك ما فعل عشيق دى ساكس وعلى الدنيا كلها السلام.

حبيبتي لا أعرف فقيهة اسمها زينب وإنما كنت أرى منذ زمن فقيهة عمياء لست أعرف اسمها ولكن منذ سنة ولم أرها وربما تجيئ ولا أراها وإنما لا تمنعيني أن أسأل عن السبب. لما حضرت كان ذلك للزيارة فقط ولأجل أن استقرب البعيد. من هم الذين كانوا يمرون عليه وهو جالس أمام منزل الأعرج. أنا لم أضمن الولد المخلول فى شئ. ليست قرينتى التى كانت راكبة وراها والدك ولكن هى حرم الشيخ حميد باشا وبنتها حضرتنا من الإسكندرية لأجل أن ألزم الهلباوى بالمرافعة فى قضيتهما أمام الاستئناف. بالى واحد وقلبى واحد وربى واحد ولا إله إلا هو ولا محبوب لى غير صفيتى وقبله فؤادى الوفية.

---

أقبل وجناتك ملايين واضمك حتى تتن اضلاعك واسلم  
على والدتك المحبوبة سلام أخ صادق لأخته الحنونة.

أخوك  
وعليك  
وصفيك  
رغم أنف الزمان

## حبيبتي صفية

وصلنى الكتابان معا فى صباح هذا اليوم لأن كتاب  
البريد تأخر فى البوسطة ولم يجرى إلا فى هذه الساعة فقرأتها  
معا مسرورا فرحا مفسرا للمنام بكل ما يوافق حالتنا. والغريب  
أن الأودتين اللتين ستفرشان للنوم واحدة شرقية وواحدة غربية  
ولكن بقدر الإمكان سيكون فرشهما أحسن مما رأيت فى المنام.  
وعلى كل حال فهل أنت آتية لحبيبك أو للأثاث. كل ما ينقصنا  
تجهيزه الآن يكمل بعد. لا بأس عليك فارفعى رأسك أمامى ولا  
تخجلنى فإنما أنت مالكة القلب وأنا أعلم أن قلبك لى فلا شئ  
يخجلك منى ولنجلس معا على الكنبه ثم على السرير ثم ثم  
وليفرح قلبانا معا ولنعش بكل سرور وسلام ورفاهية إن شاء  
الله تعالى.

المنام كله لطيف وليس فيه إلا ما يطلبه العاشقان معا.  
الجناب لم يسأل عن الرجل بكلمة سوى ما قلت لك فيما  
يخصك.

أما كون المسألة تتم قبل سفر الجناب فلا أظن لأنه  
بالأكثر يمكن فى الثغر لغاية ١٥ يونيو وفى هذه المدة القصيرة  
لا يكون تصليح البيت انتهى ولا تأثيثه. وأى شئ نحتاجه من  
الوجود أو عدمه لأن تداخله رسمى غير ممكن وغير الرسمى  
معلوم لنا.

لا تعطى المفهوم كتابا وأنا ساكلمه بحيث لا يعرف

---

أنك كتبت لى كلمة عن وساطته. أخبرينى عن رأيك بإفصاح.  
قولى لى ما تتصورين ولو تخيلا ماذا عسى أن يفعل والدك  
عندما تتم المسئلة وعلى الوجه المتفق عليه بيننا. قولى كل ما  
يخطر لك على البال. لأنه ينبغي للعاقل أن يحسب الشئ فى  
طريقه ثم يأخذ الاحتياط له فى سبيل التنفيذ. واسمحي أن أقبل  
وجناتك بلا عدد ولا حد وأن أضمك ضمة العاشق الولهان وأن  
أسلم عليك بملء قلبى يا حبيبة القلب.

صفيك  
المخلص

### عزيزتى وصورة روحى صفية

من يوم أن ودعتك إلى الآن لم أحظ منك بمكتوب وقد  
كتبت لك فى الإسكندرية ثم فى مرسيليا وهذا الثالث بعد  
وصولى جنيف هذه البلد الجميلة التى لم يكن يلذ لى شئى فى  
الدنيا غير أن تكونى معى فأتمتع بك وتتمتعين بما أبدع الله من  
محاسن الطبيعة فى هذه الجنة الفيحاء. والآن أنتظر البريد  
يأتينى بل أنتظر بين كل لحظة وأخرى منك خطابا أقبل طرسه  
بفمى وسطوره بعينى ومعناه بقلبى ويدى فوق كبدى الحراء  
مخافة أن تسيل.

عزيزتى. لا تمضى لحظة ولا طرفة عين إلا وأذكرك  
فيتجلى فى مرآة خاطرى بل أمام بصيرتى وبصرى خيالك  
مجسما فأراك بكل ما أودع الله فيك من محاسن وآيات جمال  
باهرات. كأنى أراك حقا وأتلىذ بمد يدك بل كأنى أسمعك  
تقولين لى كما كنت تقولى إرحمنى إرحمنى. فأذوب لوعة  
وأسى وأقول من يرحمنى وأنا عاشق الجمال والحسب والشرف  
والمجد الصميم.

أسأل الله أن يقرب لى أيام لقاك وأن يمتعنى بك قريبا  
قرينة محبوبة محبة سعيدة بى وسعيدا بك. وأقبل الآن وجناتك  
وثغرك وأرشف ريقك الخمرى السكرى وأسلم على والدتك  
ملايين الملايين.

محبك وحبيبك

غريب الديار

## حبيبتي صفية

وصلت الإسكندرية مساء أمس وأنا في شغف  
لأخبارك. أتمنى أن تصلني ساعة فساعة فأرجوك أن تفيديني  
عن صحتك وعن حركاتك وسكناتك .

الصغير حضر الإسكندرية منذ ثلاثة أيام وعاد صباح  
أمس وكان يؤمل أن ينال أربا من الجناح هنا مخفيا عني سفره  
فلما لم يتمكن اضطر أن يحضر إلى في الإدارة ويحكي لي  
رحلته فعاتبته على أنه لا يزال يسيئ الظن في من لم يقصر في  
خدمته وقد خجل إلا أن ما يطلبه لا يناله لعدم مناسبة الوقت  
ولعدم وجود المسوغات. وإن كنت سأبذل جهدي حتى لا يظن  
أنني معطله لعدم تعريفي بغرضه (والصغير في ظنونه  
كالكبير). ما علينا خصوم والدك في القضية أجروا الأطباء  
كلها من حيث لا يعلم حتى إذا عورضوا تقدموا للمحكمة  
بصورة الحكم وأنفذه رسميا.

أقبل وجناتك ملايين وأسلم عليك مثل ذلك.

صفيك

## سیدی الأعز الأوحد

وصلنی کتابک الکریم وقد لقیّت من أصحابکم ما راقنی  
وصیرنی حنوناً جداً ورأیت فیهم من الأخلاق ما أعجبنى کثیراً .  
أما الحدیث الذی جرى بینی و بین سیدکم فقد بشرت به  
صاحبکم الصغیر لیکتب لکم به ومضمونه الرضاء النہائی . وقد  
أظهرت الزعل منه فصار یلاطفنی کثیراً والآن أقول لکم الکلام  
الأخیر انی سأنیلک مرغوبک فی أقرب وقت . لذلك شرعت  
أستعد للمسألة من کل وجوها وسنرجع إلیه (مع الشیخ الوسیط  
الأصلی) بالمهر والنشان بعد یومین أو ثلاثة کما اتفقت لیلاً مع  
الشیخ المذکور . لذلك أبشرك وأستعجلک فی إرسال ما یکتب لک  
عند صاحبک الصغیر الیوم أو غدا .  
وسأرسل لک فی وقت آخر ما طلبته الآن وتقبل قبلی  
وتحایای لک ولوالدک الداخلی .

مفهوم

### سیدی العزیز الأوحـد

تلقيت كتابك بالشكر الجميل وهديتك بالشكر الأجمل  
لأن في طيها ورقة الحب الذي أعرف قدره ولكني عجبت من  
تهننتك لي برمضان فقط دون أن تدعو أن يكون رمضان الثاني  
خير جامع لنا بك.

أتعشم أن يكون بيننا ثالث يهنئ كلانا به والآن أعود  
فأطالبك برد جوابي الأخير الذي لا بد أن يكون فيه تمام إقناعك  
والسلام عليك ألف مرة. ختام

أخوك

الذي عن رأيه لا يتحول

## الأستاذ الفاضل

السلام على من اتبع الهدى وبعد، كل يوم أنتظر  
فرصة لأزورك فلم أجد فانا في غاية القلق لذلك فربنا يجود  
علينا بأحسن وقت وأقبل عذري في عدم الرد عليكم من أجل  
الزيارة لأنني لا أحب أوعدكم ولا أجيب وقد وصل الجواب  
ومنى عليكم مزيد الشوق والسلام ختام

معلوم

### عزيزتى وحبيبتي صفية

كنت أحسب هذا الحساب والعتاب الذى قرأته من خطابك وجوابى عليه هذا الجواب الذى بطيه . وأنا لما توجهت للتياترو وكان غرضى أن أبحث عن أحد أصدقائى لأجلس معه فى لوجه وأتمكن ساعتئذ من التطلع إليك بعد ضياع لوجى. فلما وصلت إلى باب التياترو ووجدت شخصا روميا اسمه جورجى قال إنه منتظر السيد.. إلخ فرأيت أن لا أدخل ولا أبحث على أحد لأننى صرت أكره رؤيته.

صار همك فى المسألة أن تحسبى حساب والدك مخافة أن يغضب عليك. وهل لما يغضب ينفعك مثلى . بهذه الكلمات مسحت كل ما سطرته يداك من قبل فى هذا الباب. فلا عتاب. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

مفهوم

## حبيبتى صفية لى

شرفنى كتابك الذى شرحت بتلاوته صدرى وقد  
انتظرتَه أمس فلم يجرى والخلصة أنى لاحظ عليك مثل  
ملاحظتك على بإطالة الكلام مع المخلول وإن كانت هذه  
الملاحظة ليس فيها أقل ريب وأنا أسمع قولك فاسمعى قولى.  
ولكن ساكتب لك بكل ما يلفظ به آمالى فاكتبى لى بكل ما  
يصلك عنه مباشرة أو بواسطة. وهو شخص خداع لا يعجبك  
قوله إن أحب شئى لىه أن.... وأنا بالصدفة قصدت صاحبك  
الإنكليزية فأرسلت لى أمها تقول إنها ذهبت لزيارتك فما أشد  
ارتباط قلبينا حتى مع الوسائط. حبيبتى أهنتك بإقبال شهر  
الصوم وأسأل الله أن لا يمر الشهر الذى بعده إلا ونحن معا  
وإنى أودعك للسفر بعد غد إلى أصوان مقدمة لاحتفال الخزان  
فإن مصلحة الجريدة تقتضى أن أسبق المسافرين بيومين أو  
ثلاثة . لأتمكن من مشاهدة المعالم قبل ساعة الاحتفال الذى لا  
تسمن ولا تغنى من جوع فى النظر والوصف. وإن استطعت  
أن تكتبى لى غدا فلا تبخلى وساكتب لك فى السفر بواسطة  
المعهودة وستكون مدة الغياب أسبوعين تماما. أقبل وجناتك  
تقبيل من لا يحب فى الدنيا سواك وأسلم على والدتك المصونة  
الوفا.

عليالك

## حبيبتي صفيتي

وصلنى كتابك الجميل وأسأل الله أن يعيد أمثال هذا المولد علينا بالخير والرفاء والبنين آمين. فهمت كل ما تخشين من أمر والدك عند إرادة إنفاذ الغرض وسأخاطب الصغير بما يلزمه من الكتمان وسنتدبر فى الأمر يومه لأن الاحتياط إنما يؤخذ وقت التنفيذ ونحن متمسكون أن لا تقوم فى وجهنا عوائق بإذن الله. قابلت والدك فى الصيوان الليلة الأولى لأنه قام مسرعا للسلام على وأخذ بيدي تفضل تفضل إلخ وجاءت القهوة فى خلال ذلك فشربتها معه ولكن عقب ذلك قمت على الفور وقلت إنى أريد أن أتفرج على الخيمة وتركته ودخلت وجلست حيث رأيته ولم أعد إليه وهو اغتاض جدا على ما بلغنى . وفى الليلة الأخيرة مررت عليه ولم ألتفت إليه وجلست داخلا كثيرا لأن الحفلة كانت رسمية وبعد الفراغ منها جلست داخلا أيضا بعيدا عنه إلى أن قام. لم يلتفت إليه الجناب مطلقا ولا وجه نظره إليه وقد التفت للصغير كثيرا وهو يعتقد أن هذا كله بمساعى وممتن منى كثيرا - ولكن هو كما وصفت - وعلينا أن ندارى أموره حتى يتم أمرنا.

صاحبك مريضة وقد زرتها مرارا ولكنى لم أدخل لأنهم لا يقبلون زوارا . قلت فى آخر الخطاب (قلبي يحن تشوقا ولا يدوم إلا سواك) فهل هذا سبق قلم أو سبق قلب. وعلى كل حال أقبلك ملايين واسلم عليك مثل ذلك.

صفيك

المخلص

### حبيبتى صفيتى روحى

وصلنى كتابك الشريف الكريم اللطيف. وأنا قد ارتحت  
جدا من جواب الشيخ لأن قاعدة عملنا ستبنى على ذلك الآن.  
وأخبرك يا حبيبة روحى أنتى مطمئن وصابر ما دمت  
مطمئنة وصابرة ونفسى أسيرة نفسك وروحى التى أشعر بها  
هى أنت فكلى مطمئنة .

## صفيتى الحبيبة وحبيبتى الصفية

أقبل وجناتك ملايين الألف سلاما وأسلم عليك ملايين التحايا تقبيلًا وأرشف ثغرك العذب فى خلسة من الرقباء حتى لا يزعجنا مزعج ولا يوجعنا تيقظ نائم. المنديل ربما كان غير الذى رأيته ولكن من جنسه ودستته ووقت أن كلمنى عليه كان معى منديل من ستة أخرى مثل الذى أرسله لك الآن فاضطرت أن أطلب من المنزل الذى أرسلته وقتئذ. إن قولى فى أمر النشان صحيح ولكن طلبه موقوف على العقد لأنه لا يصح أن يقال فى البراءة خطيبة فلان وهو إنما يطلب باسمى وهذا كان باتفاق مع صاحبى الكبير فى الآستانة بدون أن يعلم به والدك ولا غيره. تكلمت مع الجنا ب عن الرتبة وهو كتب ثالثا وسيخبره متى جاء بأنه كتب وأما القضية فإنى مجتهد فى أمرها ولا شغل لى الآن أهم منها والناس كلهم يعلمون. وأنا أيضا ألوم نفسى على ما فرط به القلم مع تلك الشاعر المخنث وإنما رأيت أن أقول كلمتين فيه ليرضاء لخاطر البرنس.

الصغير كان اشتكى خيلا لى وأنا كنت زعلته أمام والدك وما كنت أعلم أنه صار فى صالحنا أو مال نوعا وقد مضى على ذلك نحو أسبوعين وأكثر. أنت أرسلت لى أم الروبى ثم هو للتوسط فى قضية كبرى تخص أقاربهم فى قم البحر وقد فعلت امتثالا لأمرى أكثر مما كان ينتظر إلا أن هؤلاء الناس ربما أفسدوا بأيديهم ما أصلحته لهم لأنهم للآن لم

---

يَقْدُمُوا لِذَانْتَهُمْ مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ مَعَ كَوْنِهِ تَرَكَ لَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ١٥٠٠ جَنْيَةٍ.

حَبِيبَتِي مَتَى ضَمْنَا بَيْتَ وَاحِدٍ وَعَلَتْ أَطْوَارِي وَأَخْلَاقِي  
وَوَقَفَ قَلْبِي عَلَى حَبْلِكَ تَحَقَّقْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَصْلُكَ مِنْ أَعْدَانِكَ  
وَأَعْدَائِي الَّذِينَ لَا يَرُونَ أَنَّ نَكُونَ لِبَعْضٍ. فَاطْمَنَتِي قَلْبًا وَطَيْبِي  
نَفْسًا وَابْعَثِي كَمِيَّةً وَافِرَةً مِنَ الْقَبْلِ كَمَا أَنِّي أَكْلَفُكَ أَنْ تَسْلِمَ لِي  
عَلَى أُخْتِي الْعَزِيزَةِ الْوَفَا. أَقْبَلْكَ أَقْبَلْكَ أَقْبَلْكَ.

(عَلَيْكَ)

## شقيقة الروح أنت يا صفية

وردنى كتابك الكريم فأليك أشواقى مضاعفة وتمنياتى مضاعفة ألف مرة . وأما السيد الصغير فقد حضر وقال إنه تكلم معه بقوة وقال أريد أن تعطينى جوابا نهائيا سلبا أو إيجابا فقال والدك إننى والله راغب فى إعطائه ولكن يوجد شىء خفيف عند الجماعة أعمل الآن لإزالته (يعنى أنكم تتمنعون قليلا وهو يريد إقناعكم) فقال له السيد لا تقل هذا فأنا أعلم أنك أنت صاحب الأمر والشأن لا غيرك فقال لا تفكر أننى ممانع ولكن أهملونى بعض أيام قلانل وعلى هذا تركه وانصرف. ولكن سأجعل غيره يعود إليه وقد كان عندى بالأمس على بك أحمد وذكر لى شيئا من قصة المسألة الحاصلة عندكم وسألنى ماذا يعمل لنرجع الرجل من غيه. فقلت هذا الشئ المعجز لأن الرجل يحاول أن يعقد عقد زواجه على المرأة وينفذ ذلك إذا ضويق. غير أنى أريد منك تفصيلا كثيرا ولا أدرى لماذا لا تكتبين لى بتفصيلات هذه الحوادث. هل تخشين منى أو من قلمك أو من الصالح المشترك بيننا فى كل أمر يخصكم. أقبل وجناتك وأسلم على والدتك وأرجوك أن لا تماطلنى فى المكاتبة.

أخوك

معلوم

### حبيبتى صفية

ما أسفر علىّ صباح يوم منذ جنت إلا انتظرت أن  
ياتينى منك كتاب، لعلنى أنك تذكرينى كما أذكرك ولأنك  
عودتى فضل السبق بالسؤال والعطف ولو أن قلبى معى  
لعطفت ولكنك تملكته وتصرفت به كما تشاءين فلا شئ ينتظر  
منى من هذا القيل. فلما جاعنى اليوم كتابك الكريم تقبلته بلهف  
المشوق وقبلته قبله العاشق للمعشوق ولو أنه تضمن غير ما  
يروق.

حبيبتى. أنا سمعت بعض الشئ عن هذه الست بل  
جاعنى يوما من الأيام شخص وقال إن خاطبة جاءت إلينا  
تخطب باسمك أختى (وأنا والله ما كنت أعلم أن له أختا قط)  
فصرفته بلطف وراجعت تلك الست الخاطبة فانكرت وقالت أنا  
كنت أخطب لشخص آخر سمته لى وإنما جاء ذكرك عرضا  
وهذه الواقعة حقيقية فربما كان لها أمثال ولكن إذا كنت  
موسوسة أو لا تعرفين من أنا حتى الآن أو تتكرين مسكنك من  
القلب وأخذك له نهبا كما يأخذ الظافر والمنتصر أسلاب  
المغلوب فلا حول ولا لى.

حبيبتى . إن صاحبك عيشة هانم شديدة الغيرة عليك  
لطيفة الشعور نحوك محسنة بالعناية بأمرنا معا. وهذه الغيرة  
وتلك الإحساسات اللطيفة هى التى جعلتها تسرح خيال الظن أو  
الوهم إلى حركات تلك الفتاة ولكنها والله يعلم حركات شغل

---

وعناء يعطف عليها قلب الجلمود. وإن الذين نزلوا فندقها من المصريين أمثالي عرفوا منها هذه الصفات ولو كانت لهم صحف يكتبون فيها لكتبوا مثلى واتخذوها أعظم مثال لنبوغ الفتاة وبلوغها مبلغ الرجال فى العمل مع الثبات والاستمرار . ومع ذلك فانا أسامح صديقتك وأرجوك أن تسلمى عليها سلام احترام وإعزاز وإن شاء الله متى كنا فى بيتنا أحرارا (أنا وأنت ومتى ذلك يارب) وتقابلت الوجوه أعاتب عيشة هانم على غلوها فى غيرتها عليك إلى هذا الحد وأشكرها عليه. أقبل وجناتك ملايين وأرشف ثغرك الباسم مثل ذلك واضم خصرك حتى تتالم أضلاعك وأسلم على والدتك المحترمة الوفا.

أخوك

## عزیزى

وافانى كتابك الكريم امس فتقبلته وقبلته وما كان يشغل  
بالى شئ مما تخيلته انت لانى معتقد بخلل الشخص وقلت له  
انك مجنون او طفل. ولما قلت له انا الضامن فسرت له ذلك  
باننى معتقد ان ذلك من وساويسه واوهامه ولهذا الاعتقاد  
ضمنت له ان لا يحصل له شر خصوصا وهو قال انها اذا  
عملت شيئا فانما يكون ذلك لعلمها وان وراءها ظهرا قويا هو  
انت. فقلت لا تخف واطمنن واخذت اسكن روعه كالاطفال  
حتى اطمأن وهو حقيقة كان مضطربا جدا ويكاد تظهر عليه  
نوبة عصبية ولما طمنته فرح وسكن قلبه واطمان باله. وما  
سالتك الا لآزداد علما بما اعتقد وقلت ربما رفعت بيدك كذا او  
كذا عند النزول فتوهم خادمه مرسى ما توهم وقال له ما قال.  
وما دام عنده مرسى وام سيد فلا يرتاح له ولا لقرينته بال وانا  
واثق من كل ما ابديتيه واعلم مقدار حبك لى وحصر امالك فى  
كما انى لك كذلك ولهذا تألمت جدا امس لما رايتك واختك  
سافرتى الوجه فى العربة ، نعم ربما كان سفورك من اجلى  
ولكن كان معى غيرى وانا اغار من النسيم عليك، فاجعلى  
دائما هذا نصب عينيك وقبلى لى وجنتيك ان استطعت ألفا ألفا،  
وعليك وعلى والدتك السلام.

## أخوك

صاحبك الصغير جاء امس فقط وما استطعت ان اقبلك لكثرة  
من كان عندى وربما زرت اصحابك الآخرين اليوم.

### حبيبتى وشقيقة روى صفية

شرفنى كتابك بأحسن وداع من أشرف محب حبيب.  
وأما مواعيدى فهى مواعيد الذى يوفى ولو لم يكن من بنى  
الوفاء ولذلك لا ينبغى لك أن تشبعى إلا بتحقيق الأمل الذى  
سيحققه الله بمشيئته .

الصغير تكلم معى فى المسألة فكان كلامه باليمين  
والإيمان أنه على عهده فى الإجابة إلخ إلخ. ساكتب لك يا  
حبيبتى كلما سنحت الفرصة ولكنى سأنكر بك قلبى كل لحظة  
وكل طرفة عين لأنك أنت منتهى آمالى وأشهى وألذ أمانى.  
أسلم على أختى ألوف وأقبل بنتها ملايين ملايين وأسأل  
الله أن يعيدنى لها سالما حيث تكون فى منتهى وأسبغ نعم  
الصحة والعافية والسرور. سارسل لك جزما من باريس مع  
المروحة. كونى مطمئنة من جهة المخلول فلا شئ يمكن أن  
يعرفه. وأختم خطابى بالسلام عليك ألوف ألوف والقبل  
مليارات يا حبيبتى صفية.

(عليك)

## حبيبتى صفية

وافانى كتابك الذى كنت أنتظره باللحظة والدقيقة وأنا  
متأسف غاية الأسف لضیاع الفرصة التى كانت سائحة ولكن  
الله عوضنى عنها برويتك ساعة مرورك فوق قلبى فى دهشة  
وتأهت عيناي خلفك وظهر على الارتباك فكان الذى معى  
يكلمنى من حيث لا أعى ولا أسمع ولذلك سألنى مندهشا وظن  
بى الظنون. لم أنس ما أمرتتى به من زيارة الأصحاب الإنكليز  
ولكن لى بضعة أيام لا أستطيع مبارحة المنزل إلا فى وقت  
ضيق ولقضاء غرض مع المهندس والمقاول وتاجر الحديد  
(سقوف العمارة كلها من الحديد) إلخ فاعذرینى وسأزورهم  
اليوم أو غدا. ظننتك أنك رأيت مامونا يوم زيارتى مدرسة  
الطب فسألتك السؤال السابق وما فهمت أنك تسألينى عنه إلا  
الآن. لم أزر قسم سنجر فى المعرض إلا نظرا من بعيد حيث  
تذكرت ذلك الملتقى اللطيف والدك معنا راض. وأما ما كتب  
فى الجريدة فهو إعلان من نفس محل سنجر وقد نشر فى  
الجرائد كلها بلفظ واحد فلا تظنى شيئا. قلت أنعم وأكرم  
بإصهارك وما فهمت الغرض. أنا أطلب بإلحاح أن تفتكرى فى  
مقابلتى فلا تحرمينى من حظوة قريب جدا وأقبل وجناتك  
ملايين الملايين وأسلم على والدتك المصونة .

المحب الحبيب

### شقيقة روى وصفى العزيزة

وصلنى كتابك الألف وقد صرت أقرأ سطرًا وأرشف  
من كوبتك رشفة كأنما أرشف لماك العذب وإنسى عبد غرامك  
وإحسانك وجمالك وساكون كذلك إلى الأبد لصفيتى العزيزة وها  
هى الصورة مرسله. وحيث إنهم متعجلون فلا بأس من إرسالها  
وسأخبر صاحبى أيضا بهذه الرسالة استلفاتًا لنظره وأقبل  
حبيبتى قبل العاشق الواله وأسلم عليه بالملايين.

العبد الخاضع  
والمحب الخادم الأمين  
صفى عليه

لو عجل الأخ خروجه دون انتظار النتيجة لكان أحسن  
لأنه غير مربوط بشئ سابق ولأنه يكون معذورا عند الجميع  
وفى هذه الحالة تكون الشكوى منك فقط. وإذا شاركك لا أن  
تنتظر.

## عزيزتى وحبيبتي صفية

وصلنى كتابك اللطيف الشفاف عن حبك الصادق  
وجمال أدبك الفائق وعلمت ما حواه من قصة المخلول وأمانيه  
الذاهبة أدراج الرياح ولكن استغربت لأنك ذكرت لى فى  
خطابك أنك كنت فى العام الماضى الخاطبة لأحد الاثنين دون  
أن تخبرينى ولذلك كنت أظن مسئلة عبد الحميد جديدة بالمرّة.  
ما علينا أنا ما فهمت سؤالى عن كنت أتكلم معه صباح يوم  
الجمعة سرا. لأنك إن كنت تعنين والدك فأنا ما قابلته وإن كنت  
تعنين ذلك المخلول فلا أتذكر أنه كان عندى صباح يوم  
الجمعة. وإن كان هو دائما يجيى ويروح ويتكلم فى اتفه  
المسائل والغرض أن يعرف حالى معه ومقابلتى له وقد كدرته  
كثيرا لمصاحبتة بالمويلحى وتكلمت مع والدته من أجل ذلك  
فطردوه ووقعت بينهما الشحناء فكتب عن ابنه ما كتبه ورددت  
عليه أول أمس ولعلك قرأت هذا وذاك . ولا بد أن تعلمى  
قصدى من إيعاده عنه لأن هذا وسواس خناس وهذا مخلول.

أنا سألت رسولك عن ضيفتك لا لعلمى أنك تبخلين  
بالجواب على ولكن لأنك ذكرت مقابلتها لمن أشرت فأحببت أن  
أعرفها حالا. ولما كان قد جهل وأنت عرفت جهله من كلامه  
فلماذا لم تذكرى لى اسمها فى خطابك بدلا من ملامك.

حبيبتي أقبل وجناتك كما يشاء الشوق وأهدى والدتك  
المصونة ألف تحية وسلام وأحب أن تتظري فى أمر مقابلتنا.

أخوك

المحب

### حبيبتى الوحيدة صفية

وصلنى كتابك اللطيف ولى يومان أنتظره، فقبلته بالفم والعين وسأفعل بإشارتك وأكلف نفسى مخاطبة والدك ثانياً وإن كنت قد كرهت أن أرى ذاته. وقد جاعنى الولد المعهود منذ يومين ورجانى أن أساعد والدك فى قضيته لأن حالتها رديئة، فقلت له كلا. إنه شخص لا يستحق أنى مساعدة. فقال هل تريد أن أقول له ذلك فأجبت أنه أنت حر فيما تقول وتنقل. ثم إنك قد عدت إلى الكلام عن منزله وأنه أوفق محل لعقد الكتاب فانا معتقد ذلك ولأجل هذا لا أزال أواليه وأظهر له المودة ولأجل هذا جعلته يقاطع المويلحية لأن مودة ذلك الشيطان الرجيم فى ظروف كهذه أو بالقرب منها مضرة كبرى وعقبة كؤود. وسأشير إليه ولكن الإشكال ليس فى إجراء العقد حتى نعد لأنفسنا المحل اللائق لإقامتنا فهل تبقيين فى منزله أو تعودين لمنزل أبيك أما الأول فعندى من أصعب الأمور وأراك توافقين عليه وأما الثانى فغير مأمون. وأريد أن تفيدنى برأيك فى هذه النقطة. وبقي بعد ذلك احتمال رفضه مراعاة لخاطر صهره فإنه ربما حصل منه ذلك ولكن ذلك بعيد وعلى بعده فقد تكلمت مع على بك أحمد وقال إنه يقبل التوكيل ويجرى العقد وإنه وعدك بذلك قبل وإنما هذا الغرض لا يتصور وقوعه إلا فى منزلكم وتكونين مستعدة للخروج بعدها بقليل.

وعندى فكرة أخرى وهى أن والدك تتوجه يوماً إلى

---

منزل الشيخ حسونة وللضرورة تقابله بالذات وتحكى له حالة وجودكم مع عاهرة فى المنزل وأنها مراعاة لشرف البيت ومحافظة عليك ورعاية لناموس الحياة تحب زواجك ووالدك يمتنع وتستشيريه فى طريقة الخلاص من هذه الحالة بزواج يعصم طهارتك فإذا لان تعرض عليه أن يدبر هذا الأمر بنفسه. وهناك طريقة أنفذ من هذه وهى أن تذهب إلى سراى القبة ونعرض الحالة كما هى على الحرم أو الوالدة ليتكلم الكبير كلمة مع والدك. نعم وإن كان فى هذه صعوبة إلا أنها أسلم الطرق وأنسبها لشرفك ومقامك وبعدها إن لم يحصل شئى أقول كلمتى الأخيرة.

حبيبتى لا أريد فى الدنيا سواك فساعدينى بالفكر والإرادة وأقبل وجناتك ألفا.

أحبك  
أكثر منك

### حبيبتى صفية قلبى وموضع حبى

بكل شكر قلبى وامنتان روحى تناولت كتابك الكريم  
بالتهنئة وإننى أشكر بكل احترام اختى وأتمنى أن أوفق لتهننتكم  
قريباً. أمين يا رب العالمين وخالق قلوب المحبين.

وبعد هذا وذاك سامتلى أمرى ويكون اليوم آخر أيام  
لبس الجبة التى أمرت بترك لبسها. أما السيد فحاله معى على  
ما يظهر حسن وقد زارنى أمس مهنناً وكانت مظاهر وجهه  
حسنة وإن كنت أشعر بأنه كان يود أن تسبق رتبته رتبتي وأنا  
فى الأستانة لحصل ذلك ولكن خفت أن يتكرر وينصدع خاطره.  
وصديقى الذى له يد فى هذه الرتبة سعى جهده قبل مجيئنا  
لرتبته لكن السلطان صارت تعز عليه الرتب العلمية  
للمصريين. وبعد مجيئنا للإسكندرية رجوت الجناب العالى أن  
يكتب ثانياً للمابين للطالب رتبة السيد<sup>(١)</sup> وقد كتب وأكثر من  
عبارات الرجاء والتفخيم فيه والسيد يعلم ذلك لأننى أخبرته  
بمضمونه يومئذ.

حبيبتى قولى كما تشائين فى مسألة الشربات ولكننى  
استحلفك بأعز شئ علىّ وعليك وانتظر الجواب.  
لماذا لم تبعثى لى بكمية من القبل فى الوقت الذى هى  
أشهى مطلبى.

(عليك)

(١) الجناب العالى هو الخديو عباس حلمى، والخطاب يكشف تدخل على  
يوسف لادى الخديو ليكتب لرجال السلطان عبد الحميد بضرورة منح  
رتبة للسيد عبد الخالق السادات، وفعل ذلك على يوسف بالقطع من  
أجل صفية.

## حبيبتى صفية

وصلنى كتابك نور العينين. اما تمام المنزل فكان أمس ولا شئ غير تعليق نجفة أو لمضة وكل شئ كان يحضر أمس وقد حضرت الثلاث أخوات (الين وإستير ومريانة) وشاهدن المنزل وأعجبهن كثيرا ولاحظن بعض ملاحظات خفيفة سأنفذها اليوم. ومن هذه الملاحظات أن فرش السرير الثانى كان بنى فقلق غيره بأبيض فاريتهن فى الحال الناموسيات البيضاء. ولاحظن على شريط أصفر موضوع فوق أعلى السرير الكبير وكنت أنا ملاحظا أيضا فقلت أرفعه اليوم وما عدا ذلك فقد أعجبهن كل شئ. نحن مع الصغير بأحسن الوسائل وأحزمها وسأبذل كل جهدى فى الاحتياط معه لأن ما كتبه قرأته من قبل مرارا وتكرارا. أنا لا أحب أن أحرملك من الماء البارد ولكن أحب قبل كل شئ أن أمتعك بصحتك . وبمناسبة الماء البارد أقول لك بالأمس لبثت طول النهار فى البيت وجئت بغدائى هناك من السوق (عيش وجبنة وبطيخ) وحيث إننا كنا استحضرننا الثلاجة فقد وضعت فيها الماء والتلج وشربت ثم قلت يارب. كيف أمنعها من الماء البارد وهو لذىذ وكأنك كنت معى أو كتبت بروحك ما أملاه قلبى عليها. أقبل وجناتك وأسلم عليك كما تشتهين .

صفيك

## حبیبتی صفیة

وصلنی کتابک اللطیف. أما مسألة الجواب وحكايته مع والدك فأخبرك به تفصيلا حتى لا يكون عندك شيء. الجواب كتبه المويلحي حقيقة وهو قال مضمونه للعريس وهذا أخبر البكري به تهديدا له من قبل المويلحي. وبالصدفة لما زرته قبل أربع ليال ذكر هو والعريس هذه العبارة أمامي وكنت ليلتها بالصدفة سألت مصطفى صادق كما أخبرتك فتجاهلت كل شيء وأخذت أشتم في المويلحي وأسبه وأخيرا كلفني البكري أن أخاطب والدك في هذا الشأن لأدافع عنه بأنه باع الفلمنك واشترى البرلنتي. وليلة الاحتفال سألته بعدما خرج البكري هل وصلك كتاب من أحد مجهول فقد أخبرني فلان أن فلانا أخبره بمضمونه وبالكاتب له وهو فلان، وأنه أرسل أو سيرسل لك عبد السلام أخاه ليخبره شفاها، فاندعش والدك وقال نعم جاني خطاب وما أطلعت عليه سوى خليل منصور. فقلت له إن البكري كلفني أن أخبرك بخبره وأن أقول لك نعم إنه باع ولكن اشترى بدل الفلمنك برلنتي، أولا يليق بينت السادات وقرينة البكري لبس الردي. فقال لابد من تحقيق المسألة فأجبت أنه المويلحي خباص ومفسد والمسألة سهلة التحقيق. وفي الأثناء دعا بخليل وطلب أن يحضر الجواب فأحضره وأطلعني عليه (فأستحلفك بحبي لك وحبك لي أن تخبريني بخط من هو ولأي شيء وضعت الحاشية الأخيرة التي هي ضد الوكيل مع أنها لم

---

تكن فى أصل الجواب) وبعدها قرأته أخذت أسب للمويلحى  
وقلت إن البكرى لا يعلم شيئاً عن مسئلة السمس. وبينما نحن  
نتكلم دخل حسين بك البارودى فقال هذا هو الذى يحقق لنا  
المسألة وسأتكلم معه. هذا كل ما جرى واعلمى يقيناً أن  
الخطاب من المويلحى بعد هذا التفصيل ، بعد هذا وذاك وقبل  
هذا وذاك أشرت لوالدك من مسئلتنا فقال حاضر حاضر. لا بد  
أن يحصل مرغوبك . ثم قال إنها كانت ذاهبة أمس لمنزل  
البكرى للإفطار فقلت لها أخبريه أن لا يحضر إلا والعريس  
معه وأردت التورية بك ولكن هو ربما لم يفهم وأنا سألت  
البكرى عن هذه الكلمة على لسان والدك فقال نعم هى قالت  
وأنا ما فهمت مراده ثم قال وعندى خبر أكيد بأن السيد قال  
لشخص لا أخبرك عنه أنا لا بد أن أعطى فلانة لفلان فهل  
عندك راحة من هذا الكلام. أخذت القياس وسارسله اليوم لأنه  
جاء فى خطاب ثان عنه أمس. وأقبل وجناتك كما تشتهى نفسك  
ونفسى وأسلم على والدتك الوفا. من تلك المحاوراة اللطيفة لم  
أزر البيت الذى أشرت له مخافة أن يلحقك وسواس منه فلا  
حاجة للتأكيد.

أخوك

مفهوم

لم يكن كلامى عن شراء الحلق جداً بل هزلاً.

## سیدی الأعز الأوحـد

أنا فی غاية الأسف لعدم تمکنی من المجئ اللیلة  
الماضیة وذلك لأنی كنت بعیدا عن القاهرة فی شغل مهم جدا  
وما عدت إلا الساعة ١١ مساء. وأسأل الله أن لا یجعل لی  
عائقا للیلة من هذا القبیل الذی لا حول ولا حيلة لی فی رده إن  
اقتضى الأمر. أسلم علیك وعلى الصاحب الصغیر سلام  
المشتاق المتأسف فاقبلا عذری والسلام.

أخوك

المعلوم

## حبيبتي صفية

وردنى كتابك بما أملاه عليك قلبك الطاهر وحبك  
المحبوب فأشكرك عليه شكر العين لنورها والحياة لروحها  
وسأعمل بمشورتك فى مسئلة الفضية فلا أتم لوالدك عملا إلا  
إذا تم رغبتنا وحقق أمنيّتنا . وستعلمين أننى لا أسافر حتى  
يكون الله قد وفق لنا بالخير الذى نتمناه عاجلا. فاضرعى إلى  
الله معى بقلبك كما أضرع إليه بقلبى وهو أشفق على قلبين  
ملاهما حبا خالصا وودا صافيا.

واقبلنى فائق احتراماتى وقبلى لى وجناتك إن استطعت  
وسلمى على والدتك الوفا وأرجوك أن تخبريها بمقابلتنا حتى  
تمتلى حنانا علينا فإن حنانها من المسهلات وقت الحاجة إليها  
والسلام.

محبك وحبيبك

مفهوم

### حبيبتي صفية

ما أحلى حساب البربرى الذى تتوهين عنه فى خطابك  
فهو كان بدار الحب وهو الذى سقاه حتى ترعرع شجرة فى  
القلب لكن متى حضرت أعيد هذا الحساب من أوله إلى آخره  
ولا يخلصنى منك بل ولا يخلصك منى صياح بنت الأخت وقت  
تمزيق ثيابها. أما قلت فى خطاب سابق "أنت على رأى المثل  
إن طلتها تمزق ثيابها وتفعل مثل ما تريد ولكن ركك على لم  
الشمل فانا إن شاء الله أحضر مساء غد وعسى الله أن يمن  
باللقاء والالتقاء. أما الخاتم فلا يكون لى لأنه عند "لاتس" وإن  
أردت أن تريه يوما قبل أن يصوغه فإنى أطلبه منه لهذا  
الغرض ثم أعيده إليه.

حبيبتي. أسألك بحبى لك وحبى لك وحبى لك وحبك  
لى أن تخبرينى هل علم أحد منك بيمين المخلول وكتابته أم لا.  
فإن لى فى هذا الأمر كلاما معك ولا أريد أن تأخذى درسا  
على أحد إلا إذا أردت درس بالحساب البربرى فإنى أعلمك آياه  
كلما شئت درسا فلا يمضى زمن حتى نكون مثل بعضنا.

### أخوك

اسلم على اختى الوفا وأقبل وجنات بنتها ولو تخشى وجهنا  
والسلام.

### مفهوم

## حبيبتى صفيتى

وافانى خطابك الذى فهمت منه أمر والدتك فى مسئلتنا ولا حاجة لأن نفكر فى شأنها ما دمت أنت قادرة على تنفيذ الغرض وقت الطلب بل من مصلحتنا أن تتظاهر هى وقتئذ بعدم موافقتك على رغبتك حتى تبقى مستريحة معه. أما أمر السفر فلم أبت فيه أمرا لأننى فيه على مسئلتنا ولا أقدر أن أسافر إلا بعد ما يظهر أمر فيها. إن كان برضى والدك أو أبى لأتم الأمر بدونك ولا أسافر إلا بك للأستانة. أنا أبحث الآن عن منزل ومتى وجدته أخبرتك به لتتمكنى من رؤيته وبعدئذ نسرع فى إعداده. وأنا قلت لصاحبك كلاما تقوله لك وسأتوجه لها لتزورك. وأما عن ذهابى للتياثرو فقد سها على أن أخبرك به سهوا ولم نفكر فى رواحنا ثانيا. سأوجه يوم الجمع حسب أمرك.

أقبلك ملايين، وأسلم عليك مثل ذلك، ولأجل خاطرك سلمى لى على والدتك التى تريد أن تزوجك لغيرى سلما للوصول إلى . إن عقلها كعقل أبيك.

صفيك

## حبیبتی صفیة

وصلنی کتابک اللطیف الظریف الخفیف، والدک رغم  
 انف تکبره مبتهج مسرور بالنشان وکل من قابله یذكر له  
 الحديث الذی جرى بينه وبين المنعم يوم العید والدرس القاسی  
 الذی ألقاه علی المخلول أمامه والتعهد لیس الغرض منه أن  
 المخلول یخدمنا ولكن لا یكون لنیما فیفعل فی السر ضد ما  
 یقول فی الجهر ویكون من صالحه التجیز . والدک الآن  
 أقرب منه فی کل وقت ولكنی أؤخر الکلام حتی لا یقول الناس  
 إنی فعلت کذا وكذا من أجلك كما یقولون الآن (حتى اللورد  
 ورئيس النظار قالا هذه الكلمة) فانا أؤخر القول ریثما ینسى  
 الحديث. قلت لك من أجلك فعلت ومن أجلك سأفعل کثیراً  
 فارجو أن لا تیاسی وأن لا تبخسی افکاری.

وقد قلت لك إن إعطاء النقابة لوالدک كان من رابع  
 المستحیلات لأسباب کثیرة لا یسع الورق سردها ولو بقيت  
 النقابة فی محلها الذی كانت به أو لو ذهبت إلى بیت مکرم لما  
 كان لی أمل بها فی المستقبل وبعد أن أخذک أخذها لك فافهمی  
 ولا تعیدی تکرار الحساب البربری.

حبیبتی انا مشوق مشغوف لأن أراك فی هذه الأيام  
 فافعلی کل ما یمكن أن یرینی إیاک قریباً وأفیدینی وأنا ما ذهبت  
 لبیت البابلی منذ أشرت علی بعدم الذهاب وبالصدفة لم أتوجه  
 حتی فی العید لمنزل سامح (سامحینی من ذا الکلام) أنا فرحت

---

من زعل السيد مع الغيرة لأنه هو السبب في تزدد نسيم  
(هذا الغلام الدنيئ) على والدك وقد أنبتة كثيرا على أخذه إليه  
في الأيام الأخيرة. وأنا عندما أراه أنقبض وأستاء جدا ولا أكره  
رؤية أحد مثل ما أكره وجهه لأنه مومس مفسد تمام. وفي  
النهاية أسلم على أختي وأستمحها في تخميش وجه بنتها بالقبل  
وفي هصر خصرها بالضم والسلام.

الخال الذي يحب بنت أخته

### حبيبتى العزيزة صفية

وصلنى كتابك الذى كنت أنتظره حتى طلبته .  
 والملاحظات التى أبديتها كلها حق ولذلك سألتك عنها وقلت لك  
 ماذا العمل فيها، ولكن ذلك الولد المخلول كان عندى منذ يومين  
 وسقت له كلاما بين الهزل والجد لأجس نبضه فقال نعم أنا  
 مستعد ولكن بالفاظ يرتاب فى مطابقة اللسان فيها القلب. ولذلك  
 عزمت على أن أراجعته ثانيا بشبه الجد وأن أعين له يوما حتى  
 إذا كان لسانه كاذبا يظهر كذبه ثم أخبرك بالنتيجة الأخيرة.  
 وقد كان فى عزمى أن أخاطب والدك فى هذا الشأن  
 أمس ولكن ما باليد حيلة نسال الله أن يهيئ الأسباب.  
 لاحظى أن صديقى شفيق بك رئيس الديوان الإفرنجى  
 الخديوى صار جارا لمنزلكم أى فى المنزل الذى لحظتتا فيه،  
 فاحذرى أن تطيرى الحمام مرة ثانية.

محبكم المخلص

### حبيبتى ومالكة قلبى وروحي صفية

وصلنى كتابك ولا أظن الرجل يقدر على رد  
الصندوق. أما كونى لم أحضر معى المخلول فذلك حتى لا  
يقول ما كان يقول عند مسئلة النقابة. وقد قلت له إنى لم أحضر  
معى وسيطا لأنى لم أرد أن أتوسط لك إلا بك ولا أمل لى فى  
سواك. وأرجوك أن تخفى ما بك من الوجد والبكاء، فإن الأمل  
الآن أقرب إلينا من الرجاء على كل حال. أسلم على اختى  
وأقبل وجنات ونهود وسرة بنتها وأقول لها اطمئنى وانتظرى  
الفرج القريب.

الخال العاشق

الولهان

## حبيبتى صفية

وصلنى كتابك الأحب إلى من نظر القمر فى الليلة  
الظلماء والصحراء البهماء، وإنى أسفت أشد الأسف على عدم  
رؤيتك يوم زرت منزلكم لأنك كنت بغيتى الوحيدة من هذه  
الزيارة كما أنت قصدى وكعبة أملى من كل زيارة لكم. ولولاك  
لهجرت منزلكم هجر الأسير قصر الملك (لا يمكنى أن أشبه  
بغير هذا) وأسفت الآن أضعاف ذلك لأنك كنت منحرفة المزاج  
جعلته الله الصحيح المعتدل على الدوام. الولد المخلول يظهر  
الغيرة والمحبة والإخلاص والسعى فى هذه الأيام أضعاف ما  
كان يظهرها وسببه أننى خدمته خدمة صغيرة (راها كبيرة  
جدا) لدى من تكبر عنده الخدم وهو لذلك قال ما قال. زارنى  
منذ أيام مأمون وقال لى إنه لا يريد الزواج بفلانة. فانا لاطفته  
بألفاظ وأظهرت له عدم التداخل مع ذلك وهو الحامل لى على  
أنى لم أتوجه منزلها حتى لا أكلف التداخل وهو لا يعينى لأن  
الشخص نافر كل النفور ولعل له حقا.

أسلم على أختى وأقبل وجنات بنتها العزيزة التى هى  
فلذة كبد الحب وحببة القلب. فإن لم ترض بالتقبيل حضنتها قسرا  
وأخذت خصرها حصرا وفعلت كيت وكيت ولو ملاصياها  
البيت والسلام.

أخو الأم  
وعاشق البنت  
(مش غريبة بالله)

## حبيبتى صفية

وصلنى كتابك الكريم وقد أدهشنى ما فى الكتاب طيه  
ولست أظن من يكتبه غير شخص مطلع على أسرار الولد  
المخلول. وأهم شئ فى الموضوع البحث عن "الصيغة" حقيقة  
أن كانت بيعت أم لا. ويخطر ببالي أن الكاتب له هو الولد  
كامل لأن صاحبه الآن كثيرا ويمكن أن يكون للمويلحى دخل  
فيه وإن كان يبعد أن يشير لى ولك بما فى آخر الكتاب. أما  
الخط فهو مغير وليس بخط أصلى لأحد كما يظهر من تكلف  
تغيير الحروف.

وعندى خبر بمسعى المخلول لجعل السيد وصيا على  
الولد وهى حيلة لمسألة الزواج ولكنى أصرفها من فكر  
المخلول بواسطة لا يعلم أنها منى. وقد أخبرنى السيد بزيارة  
العريس والبكرى وهذا دعائى للإفطار عنده الليلة فاعتذرت  
بوجود مفطرين عندى. وسأبحث عند مصطفى صادق عن  
مسئلة الصيغة ، وأخبرك وأرى من صالحنا تقديم الجواب للسيد  
ليقرأه الآن فربما ظهر أثره فى الحال. وهو لا يمكن أن يظن  
أنه من قبلنا لأنه ظاهر فى غير الجانب فيه مصلحتنا لكن إذا  
قرأه يحدث عنده تأثيرا سينا من جهة المخلول وجماعته وينتشى  
إلينا كثير. أما ما قلته فى آخر خطابى فهى نزعة غيرة من  
قلبى لا باعث عليها من الخارج وأتمنى لو أستطيع أن أضعك  
بجسمك وثيابك وأثائك داخل قلبى فلا ينظر إليك سواى. فلا

---

تحاسبيني على الفاظ كهذه واعلمى انى عاشقك، والعاشق  
معذور فيما يقول.

معلوم

أقبل وجناتك ملايين وأسلم على والدتك المصونة الوفا.

مفهوم

لابد من إطلاعه على الجواب مهما كان الحال.

### صفيتى الحبيبة

لم يأتى منك اليوم كتاب. فهلا ترالين فى وساوسك  
التافهة أو اقتتعت بأن الذى يحمل العناء من أجلك أربع سنوات  
ينتظر الفرص ويستهل الفصص ويتحمل رذائل أبيك وسخافات  
ونمائم الناس وأقاويلهم؛ جدير بأن يكون محل ثقتك إلى الأبد.  
هذا شئى والشئى الجديد أن والدك يرسل الآن كثيراً  
لمرسى ليعيده إلى خدمتك وهو لم يجبه انتظاراً لأمرى فهل  
يوافقك أن يعود وهل عندك ملاحظة فى ذلك وهلا يكون من  
وراء عودته تنافس مع حامل هذا الكتاب أرجو إفادتى. أقبل  
وجناتك وأسلم على والدتك كثيراً وأسالك بحبى عندك أن ترى  
فى مقابلتى بأقرب وقت رأيا وتقيدنى به.

محبتك

وحبيبك

حبيبتى الحبيبة الراضية الغاضبة والراضية صفية  
وصلنى كتابك الشريف هلالا لعيد اكبر وبشيرا لحظ  
اوفر. وكنت احب ان تصدقى كلامى ويضمن قلبك له ولو لم  
يضمن ايراهيم الا بروية العين. وعلى ذلك ساريك واريك  
واريك انى صادق وهذا خطه مع هذا فاقرايه وارسله وفيه  
الموعد بين. وارجو ان لا يلبث عندك الا بقدر ما تقرأينه.

النشان المجيدى الاول امر عظيم جدا فهو ليس ككل  
الرتب والنشانات والدك سعى عليه كثيرا فى الأستانة وطلبه  
له الجناب الخديوى مع ما طلب للعلماء فلم يتيسر فلا تبطرى  
وتلك المسئلة كان من المستحيل فى الوقت الحاضر مجيئها  
لوالدك. فإما ان تبقى فى محلها او تعطى لمكرم او تعود  
للبرى. وهى هنا قابلة للانحلال والتحول بخلافها فى المحليين  
الأولين فما كان هو خير ما يكون ولكن إذا كنت مثل والدك  
تحكمين على الشئ بمجرد الغرض فلا حول ولا حيلة. واما  
اللؤلؤ فلم يضحك الرجل على فالذى جاءنى به الغيرة والوصف  
هو هو ولا يضرك ان كان يوجد خير منه. فالمستقبل بيننا وأنا  
لا أرسل لك الخاتم الآن لأنه عند "لاتس" الجواهرى ليوسع  
حلقتة وإنما أرسل لك خاتما لطيفا فيه جعلان من أنفس الجعالين  
وقد حاول كثيرون من عارفى الآن أخذه بثمن غال فلم تكن له  
قيمة عندى إلا ان يكون لك وصفته عند "لاتس كانون" وأرسل  
لك زوج الأساور. فاقبلى هذه وذاك هدية العيد واسمحي لى ان

---

أقبلك قبلة العاشق الولهان والخطيب المنتظر منذ ثلاث سنوات  
والراغب الذى يضرب ليل نهار أخماسه لأسداسه والذى يفعل  
لأجلك كل شئ ويفعل بك إن شاء الله كل شئ . وأسلم على  
أختي كثيراً جداً واعلمى أن ما تكبدته فى هذه الأيام لأجلك  
يكبر على كل كبير غيرى. ولو كان القرطاس يسع التفصيل  
لفصلت ولكن كله يخلص فى الغسيل يا صافية.  
أهنتك بالعيد وأسأل الله أن يجعل أيامى المستقبل كلها  
أعياداً بك.

من المحب  
إلى الحبيبة

## حبيبتي وصفوة روحى وريحانة حياتى صفيتى

أود لو أكتب لك كل لحظة خطابا وأن يأتيني منك خطاب. وبعد الذى كتبته لك صباحا افكرت أن نكتب تلغرافا أرسل لك صورته لتكتبيه بخطك حتى يصلح الحكومة اليوم لنحفظ به خط الرجعة وإن كنت قررت مع الهلباوى أن نسكت بضعة أيام وهو مسافر اليوم فى الزقازيق وساطلعه على صورته فى المساء وأخبرك بما يكون بعد وأسالك هل كانت النقود فى البنك باسمك واسم أختك معا وهل أنتما متساويتان أو لكل واحدة منكما نقود خاصة .

وأقبلك بين شفتيك وأخذ لسانك غصبا لأمتص من حلاوته ما يذهب بمرارة الصبر الذى أعانيه. وإن كان كل مر من أجلك حلوا وكل عذاب فيك عذبا وكل نار يؤججها الشوق إليك فى قلبى بردا وسلاما.

أقبلك أقبلك أقبلك من كل قطعة من جسمك الشريف هياما وحبا وإخلاصا حتى أجن فيك أو أموت والسلام.

عليك

### حبيبتى صفية

اكتب لك هذا آخر ما اكتب قبل السفر ولا حاجة لأن  
أبلغك إحساسات وداعى لك، فإنما أودع قلبى عندك وإذا كنت  
أسأل الله أن أعود سالما فلكى أراك يا غاية المنى وحظ الحياة  
لحبيبك.

### المعهد

أقبل وجناتك وأسألك أن تبلى والدتك المصونة شعائر  
الاحترام والإجلال والله أسأل أن يمتعك بتمام الصحة والعافية  
وأن يجعلنى دائما سعيدا بذكراك.

## روحي صفصف

أبوسك يا روي في خذك وفي ثغرك وفي نهذك  
وأقبلك ملايين الملايين يا عصفورتى الجميلة .

الى يحب

معها ورقتان بعشرين.

## أخي الأعز الأوحـد

واقفاني كتابك الذي كنت أنتظره من يومين فقبلته  
ببصري وقلبي لأنني أعرف مقدار ما يكن قلبك الطاهر لي من  
الحب والصفاء وما يكون عندك من القلق في مثل هذا الحال.  
ولكن أرجوك كل الرجاء أن تخفف عنك هذا العناء واعلم أنك  
على كل حال لي والفرق كله في الزمن يطول أو يقصر.

أما ذلك العظيم الذي أشرت إليه وهو يعزني كابنه  
فأمره في مسألتنا بالعكس لأنه منذ أشهر خاطبني في هذا الشأن  
وقال كيف تصاهر رجلا صفاته كذا وكذا وأخلاقه الشخصية لا  
تطاق. وبلغني أنك تسهر عنده كثيرا وهو في سهراته هزء  
وسخرية. فانا سكت على الكلام الأول ونفيت له تهمة السهر  
معه وقلت نعم إنني أزوره في بعض الأحيان ردا لزيارته ولكنه  
حال وجودي لا يخرج عن دائرة الكمال وأمثال هذا الكلام فلو  
قلت له إنني أريد مصاهرته وهو يمتنع لشن على الغارة فدعينا  
من هذه المعطلة .

نحن نصبر ونستعمل معه تارة اللين وتارة العنف، وأنا  
الآن على ما أشرت إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا. وأقبل  
وجناتك أضعاف تسليماتك وأسلم على والدتك المصونة كثيرا.  
وأنا اليوم مسافر للإسكندرية وبعد يومين أعود إن شاء الله  
والسلام.

أخوك

### حبيبتى صفيتى روحى

وصلنى كتابك الشريف الكريم اللطيف وأنا قد ارتحت  
جدا من جواب الشيخ لأن قاعدة عملنا ستبنى على ذلك الآن.  
وأخبرك يا حبيبة روحى أنتى مطمئن وصابر ما دمت مطمئنة  
وصابرة ونفسى أسيرة نفسك وروحى التى أشعر بها هى أنت.  
كلى مطمئنة واشربى مطمئنة ونامى مطمئنة. يصل  
اطمئنانك فى كل هذا إلى روحى أنت وأنت أنا.

(على)

فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠١<sup>(١)</sup>  
سيدتى العزيزة

ما أكثر الخطأ إذا كان الحكم يأتى من وراء حجاب.  
تظنين أنك المعذبة خاطر وأنا المرتاح، وأنت القلقة وأنا  
المطمئن، وأنت المشغولة وأنا الخلى، وأنت فى وسط الأكدار  
والهموم وأنا فى وسيع الصفاء والسرور. كلا ثم كلا. إنك  
مخطئة أعظم الخطأ وسالبة لحقوق الإنسانية والمروءة منى  
غدا وظلما.

فأنا عندى أضعاف ما عندك شغل شاغل، بل أضعاف  
ما هو شاغلك بى، وأكدار لا تحيط بها أسوار الدنيا بأسرها  
وحيرة من أمر هذا الرجل الغريب فى أطواره لا يكاد أحد

(١) تكشف هذه الرسالة المؤرخة، أن صفية ووالدتها كانت راغبتين فى  
إتمام الزواج. وأن صفية كانت تقترح بعد أن بدأ الوالد فى وضع  
العقبات أن يذهب إلى عمته ويتم الزواج هناك بعيدا عن الوالد وأن  
على يوسف هو الذى رفض لأنه كان يعلم حجم المشاكل التى  
ستحجم ونصحها بالصبر. النتيجة أن على يوسف وجد نفسه فى  
النهاية مضطرا لإتمام الزواج بعيدا عن والدها.

أما تاريخ الرسالة فيعود إلى سنة ١٩٠١، بعد عام من بدء  
العلاقة العاطفية بين الشيخ على وصفية، وقد انتظرا وصبرا ثلاث  
سنوات أخرى.

تذكر هذه الرسالة بوضوح قصة خطبة "حفيظة" شقيقة صفية  
إلى شقيقه السيد توفيق البكرى والمشاكل التى أحدثتها السادات أيضا فى  
هذه الخطبة.

---

يهتدى إلى ساحلها. نعم إن لوالدتك الحق فى أن تقول إنى سبب كثير من أتعابكم لأنكم علقتم الأمل على. ولكن ليس لك ولا لها الحق فى مؤاخنتى لأننى مثلكم مشغول متعوب البال أفكر دائما فيكم وأحار كيف أصل إلى النتيجة التى تريحنا معا ولا يكون من ورائها ما يمس شرفنا معا.

إننى قلبت المسألة من جميع وجوها فرأيت من الخطأ الفاضح أن نعتمد على الطريقة التى ترونها الملجأ الأخير وهى الالتجاء لمنزل عمّكم وحسم المسألة بواسطتها لأن من وراء هذه النتيجة ضوضاء ورجة لا نشعر بدورها الآن، لأننا لم نسمع دويها ولكن العاقل يجب عليه أن لا ينظر إلى الحرج الذى هو فيه فقط ليتخلص بأى وسيلة كانت. فبعض الوسائل يودى إلى حرج أضعاف ما يكون فيه الإنسان. ولذلك قلت انتظروا واصبروا كما أنا منتظر. وصابر وكلانا يحمل قسما من أتعاب الحالة الحاضرة. ربما تقولون إن الوسط الذى أنتم فيه ردىء وتتمنون الخلاص منه بأى حالة كانت لأنه لا يوجد وسط أردأ منه، وهذا يكون نصيبكم الحالى من الهموم والأكدار أضعاف نفسى. ولكنى أقول إن الشواغل التى يتحملها قلبى المتعوب من أجلكم ربما كانت أضعاف كراهيتكم لرؤية وجه شخص سيئ المعاملة والهموم التى أنا فيها مع علم عائلتى بنيتى وكل أحمالى لا يمكن أن تقدر ويتبع ذلك من التناثر ليلا ونهارا داخل البيت ما يمس بحالتى الصحية وأشغالى الكثيرة. فاصبروا كما أنا صابر. ظننتم أننى أعبث أو أرتكب خطأ فى مساعدة البكرى على خطبته لحفيظة ولكنى أعتقد أنها ربما

كانت من أنفع الوسائل، لأن السجن الذى مرت عليه الأعوام مقفلا محكما إذا كسر بابه وخرج بعض من فيه كان ذلك تمهيدا لخروج البقية . وإذا حصل شقاق بين السيدين (كما أتخيل الآن) فلا بد أن البكرى يشن الغارة فى كل مكان على والدكم وإذا ظهرت فى الوجود حادثة جديدة من هذا القبيل كالذى حصل على عهد عثمان كان لكم الحق أن تخرجوا وتلتجئوا إلى عمكم وكان لمثلى أن يقدم على عمل.

السيد البكرى دفع ٢٥٠ جنيها مهرا لحفيظة وهو يحاول الآن أن يعين الموعد الأقرب لعقد الكتاب ووالدكم يتحى عن تعيين الموعد الأقرب وقد لا يمضى زمن حتى تظهر النتيجة فتتخذ الطريق الموافق لنا . . . . .

وأقبل وجناتكم ويد حضرة الوالدة. أودعك وداع المحب لحبيبه الآن لأنى مسافر غدا للسودان وسأرجع بعد عشرين يوما إن شاء الله. فليدع لى قلبك الطاهر ولتؤمن والدتك المحترمة وليتصافح القلبان دائما والسلام.

(أخوك)

---

أشعار  
الشيخ على يوسف  
إلى  
صفية السادات



---

إذا كان قلبك لى سابقا  
بفضل المودة من أول  
قلبي له السبق فى الاحتراق  
بنار الغرام على ما بلى  
فإن شئت أن تشعل ناره  
دواما فذلك شأن السخلى  
وإلا فرحماك فضل على  
غريم غرام يسمى (على)

• • •

أرسلت لى مع الرسول شرابا  
أى بأس فى أن أراه مداما  
إن يكن من "صفية" فحلال  
ليس كل المدام يهدى حراما

• • •

وأتحفتنى بعاشوراء قد جمعت  
فى حشوها كل أنواع الملذات  
لكن لذة مثلى أن أدوم على  
ذكرى صفية حلت روحها ذاتى



---

رسائلها إليه



## عزيزى على يوسف

بعد السلام . جاءنا المخلول<sup>(١)</sup>. واظن أنك الموعز له ليخبر السيد أن عندك علم بالجواب وقد سمعت أن خليل حضر لطرفك وأيضا ترتضى كلمة وبلغنى أن الجنبأ أخذ خبر هل صحيح، أرسل المنشاوى يقول عنده صندوق داخله أشياء فهل جنابك تريد ترسلهم لى بغير علم السيد أو كيف فدى ولماذا لم تخبرنى فى خطابك.

السيد تفرج على الأشياء وضحك لما قرأ المؤيد وقال شئى لطيف ولما وضعهم أمامه قال للبنى نادى ستك فمشت لطلع، فقال لها ثانى تعالى ثم وضعهم داخل الدولاب ووضع المبلغ مع فلوسه ، وقد علمت مقدار المبلغ وما كنت أحسب نفسى أنى رخيصة عندك بذلك المقدار كما أن أكثر العالم علمت بمقداره.

المسلوب مجتهد فى ذمك عند السيد. ماذا نقل لك المخلول عن السيد وما هى الأخبار الموجودة عندك.

معلوم

(١) المخلول أحد أفراد الأسرة، وكان للشيخ على وصفية يكرهاته.

## حبيب صفصف

وصل كتاب أوفى محب لأوفى محبوبه ، وكيف  
أخالف أمر طيف خيالك فى اليقظة والمنام وإن كان بهازل، نعم  
أضنى القلب ولكن أردت عدم المخالفة لأكون مطيعة لك  
ولخيالك يقظة ومناما. فهل تحب يكون بخلاف ذلك.  
حبيبي لو كان طيف خيالك طلب منى قبلا ما امتنعت.  
فالحق عليه ولكن ربما انكسف منى فقل له لا ينكسف ثانيا.  
ارسل القبل التى طلبتهم وإنى ارى أنهم قليلا جدا،  
فالآلاف قبلة طلبك فقط، كنت أحب أعطيك عددا لا يحصى  
ولكن مدام طلبك ذلك القدر فلا أعطى زيادة. وأسلم على  
صاحب الخيال الكسوف ملايين وكذا قبلا إكراما لصاحبه.

## صفصفوف

### عليك

متى حضر ذلك الباشا يوم الخميس ما خرج الرجل من المنزل  
قط. ومع ذلك حضور هؤلاء لا ينفع ولا يفيد وشوف إزاي  
ايضا. لكن خليل وأخيه ملاعين جدا وقوله لى خوفا منى فهم  
يقينا يبغضوك فى الباطن.

---

.....<sup>(١)</sup> الوالد

معكم في العربة بعد خروجكم من عنده، فقال والله ما قاله  
حاجة أبدا لكن هو يكذب علينا. وفي النهاية الوالدة بتسلم عليك  
كثيرا كما أن محرر هذا السطور بتسلم سلا ما كثيرا صباحا  
مساء ودمتم .

أخوكم  
المحب

---

(١) سطر مفقود.

## الأعز الأوحى على يوسف

بعد السلام. لم أراك يوم الجمعة فى الجزيرة ومع ذلك كان موجود سبعة وما تركت جه هناك إلا وروحتها. وأيضاً مررنا من شوارع كثيرة فى الأزبكية لعلى أحظى بنظرة لكن عربتكم ما كانت موجودة بالعربخانة لأن قبل توجهنا إلى الجزيرة زورنا منزلاً مقابل للعربخانة. وقد مررنا على المنزلك<sup>(١)</sup> ونحن رجعين فإن شاء الله يكون مبارك وما كان معى غير الوالدة. وقد ضحكت لما نظرت السور مهدوم. وقد قابلت فى الجزيرة زوجة المخلول. أسألك هل زوجة سامح الحكيم لما تزور منزلكم تكلمك أو أنت لما تزورهم تقابلك لأن سمعت أن حضرتك تحبها (قلبك سايع كام واحدة) سمعت أن قرينتك ستوضع بعد بضع شهور فإن كانت بنت سميها على اسمى.

فأستحسن منك أن كل زيارة يزورها الوالد لك تكلمه فى الموضوع. فقد أخبرنى المخلول خليل أنك تكلمت مع السيد يوم كانوا.

(١) المقصود : منزلك.

إلى مالك العصفورة المتصرف فيها والحاكم عليها  
تقول العصفورة الطائفة الخاضعة لمالكها وسلطانها  
الآخذ لبها الممتزج بدمها التي هي في مملكته ترتع في روضة  
الفرسوس حبا وهياما بهذا الهوى والجوى معجبة مفتخرة به  
وبوفائها وإخلاصها وطاعتها لحامل أشرف عرش هي عليه في  
أطهر بيت طاهرا كالبيت الحرام المقدس.

أيها الملك الجليل قد تلقيت كتابك كما تلقت هاجر ماء  
زمزم بعد ظما كاد يهلكها، ففاض على هذا الكتاب كما يفيض  
على كل يوم في نفحات الحب والشرف ما يجعلني ألهج بذكرك  
واسبحك كتسبيح الملائكة للمولى عز وجل.

سیدی اینی فی غایة الشکر والممنونیه لقبولك منی  
العروس التي اتقرب إليك بها لأحوز شرفا ساميا واسما عاليا.  
نعم عزیزى قلت لا أحکم علیها متى أراها وطلبت منك تعرفها  
لی فبخلت علیّ وطلبت منی أن أصفها لروحي. كيف ذلك  
بدون أن تعلمنی عن اسمها. ألم يكون لها اسم ومكان تدلنی  
عليه ليكون له وجه فی الوصف. ولكن أقول علی وجه التقريب  
لحين رؤيتی فيها حسبت أنها بالغة عندك لذلك الحد لابد هي  
الأخرى عندها كما عندك.

## شقيق روى على يوسف

أخذت مكتوبك العزيز وزال به بعض جيوش الكروب  
سرورا جدا بإنعام الشاه عليك إنعام حل موضعه ولا زلت منبوع  
الترقى على مدى الدهور والأعوام. وقد حقق منامى المولا  
سبحانه وتعالى، رأيت ليلة الخميس حلم غريب الشكل فصبحت  
أقصه على الوالدة وبعد ساعة قرأت بجريدة المقطم فى  
التغرافات ذلك النبأ المفرح عندي. ثم لما بلغ الطفل المخلول  
بزعالى<sup>(١)</sup> "حضر أول مرة تغدا عندنا وقال له لا يلزم ننزعك  
بنتك ولا ولا، ولازم تصالحها بحضرتى. فقال حضرة الوالد  
مرة أخرى. وبعد يومين حضر ثانيا فى العصر فخرج له فى  
القاعة الكبيرة وهناك تركه وجاء المجنون فى المحل الداخلى  
ورجائى من فوق وكنت أردت أمتنع فافتكرت مقابلتى به أوفى  
لما بعد. نزلت وتكلمنا ولا أقدر أشرح لك جميع الكلام لأنى  
نسيته من كثرة كدرى وأفكارى .

أعلم أنه ليس بهم فقط متذكرا جملة قالها ضمن  
كلامه (أنا غرضى شرفينا لأنى أحب معك وأعلمك كلاما  
كثيرا يكون فيه نصيحة لك فأجابته. بأقواله وضحكت يا فندم  
أنت تتكلم مرة أمامك. فهل أنا أخذ منك أم أنت تأخذ منى ، أنت  
تتكلم كلاما أكبر منك ولا تفهم ما تقول. وهميت بالقيام فقال

(١) بزعلى.

أرجوك لا تكسفينى وأقبلى رجائى. وصار يتنزل أقبلى أياذك .  
انتظرى هنا وادعى السيد وقابلوا بعض قلت لا أنتظر أبدا وهو  
أيضا نفسه كبيرة لا يرضى يدخل معكم وبالاختصار كان غير  
راضى وبرح المخلول المنزل صفرا مكسوبا ، وربما يخبرك.  
فأرجوك لا تسأله ولا تفضى له أمرا ما. ثم بعد يومين دخلت أم  
أخوتى اسمه عنده على حسب العادة كل يوم فقال لها أنت غبتى  
اليوم ليه. فأجابته ما غبت وإجمالا هو كلمة ، وهى كلمة  
وكانت خناقة وقام بضربها وفضل يجرى وراها فى الداخل إلى  
الدور الثانى وهناك منعه ابنتها لكن مهما تمنعه ضربها  
وبالصدفة كان موجود عندهم ضيوف. بالاختصار كانت حادثة  
كبيرة لو شرحتها لمألت ثلاث فروخ ورق. وأرسل السيد  
إسماعيل منصور لهم يقول إذا كنتم تخرجوا لا يمنعكم، بل لو  
كنتم تريدوا لا يمنعكم، بل لو كنتم تريدوا السفر إلى الآستانة  
يرسلكم، وهى أرسلت له كلام كثير فيه فائدة لكن الرسول  
حمار ما قال ولا كلمة منه وهو أنهم لا يقيموا بالمنزل غرضهم  
الخروج فأرسله ثانيا إلى أى محل يحبون يتوجهوا، فأحبوه  
الجارية لما تحب تخرج من بيت سيدها لا تقول على المحل  
المتوجه إليه.

## حضرة المحترم

بعد السلام. الآن أخبرك أن البنت الخادمة لا تريد تمكس وأنا أيضا زعلانة منها جدا فقط ليس كنت رضية أخبرك فلن ترسل عبد الله أفندي لمنزل الظاهر لأجل متوجهة لتأخذ ملابسها ثم اليوم تجعله يتوجه عند المخدمة الإفرنجية لأجل واحدة غيرها ترسلها لي اليوم ولكن تكون "أونسون" أو طليانية . وهي أخذت مني مهيتها ريال ونصف وأعطيتها على حساب ٤٠ فرنك وهي أمس قالت أريد لروح عند أختها، ولم تحضر إلى الآن ولا تأخذ مني الإذن وهي تكذب كثيرا وأنا لا أحب الخادمة الكذابة. وأيضا أولاد الشيخ زعلانين منها وأنا لا أحب أحدا يزعل من خادمتي.

ومنى إليك السلام ودمتم.

صفية

## عزيزى الأعز الأوفى<sup>(١)</sup>

كنت أود أقول لك يالف صباح الخير شفاها لا تحريرا  
فى الصباح اللطيف. وكنت أتمنى من صميم القلبان المتجيان  
نقبل بعضا صباحا كما كنا نقبل فى الأيام الذى مرت كالخيال.  
ورضا الآن نتاجى بعض بقبلا على الورق وحكم علينا الله  
بالتفريق بعد أن تلقينا بعد عذاب وتعب ودواخ، ألم يرحمنا الذى  
خلقنا لبعض وخلق القلبان مع ووضع المحبة فيهم ، ألم ينظر  
إلينا الله بعدله وشفقته، القوى على كل قوى ويجمعنا فى أقرب  
الدقائق، مفوضة الأمر له سبحانه وتعالى لابد أنه يشفق ويرحم  
بالضعفاء.

أسالك بحبى لك وحبك لى هل أنت كنت قلقان فى الليل  
ونمت فى أى ساعة ، لأنى أنا أمس كنت شديدة القلق أكثر من  
كل ليلة وقد جاعنى الألم فى رأسى وما زار الكرى جفنى إلا  
قرب طلوع الفجر ومع ذلك قمت قبل طلوع الشمس ومررت  
هذا لحبيبي .

---

(١) قد تبدو هذه الرسالة ومن التوقيع أنها من الشيخ على إلى صفية ،  
ولكن الواقع أنها مكتوبة بخط صفية، وهامشها يحمل توقيع "صفية"،  
واسلوبها ليس اسلوب على يوسف.

---

سلام ملايين لا تعد وتحصى

عليك  
سأرسل لك جواباً آخر ردّ على خطاب أمس في الأوان مع  
الرسول.

المفهوم  
صفية

## عزيزى المكرم على يوسف

حظيت بكتابك الكريم وأهنيك ثانياً بالعيد مع غرر التهاني والتبريك بإتعام أمير المؤمنين عليك بالنشان العثماني الثاني فقد سرنى ذلك سروراً عظيماً لا يقدر. وإنى ألومك لأنك لم تخبرنى فى خطابك . وبعد قد استحسننت أفعالك مع الرجل . كان الفرح خلفه طالع جداً ففهمت لابد يكون أحداً كلمه بشأنك وكنت أضحك عليه سرا. وأما تشريف البرنسبات لا يفيد شيئ غير بتسمعوا منه حاضر إن شاء الله، وذلك حالة لزوم أحسن طريقة هى الذى اتفقت عليها مع الجناب العالى وفهم جنابه يقول له ضمن كلامه معه لو أبديت لى عزراء، لا أقبله ووالىخ. لربما بعد رجوعه من عنده يكتب لجنابه جواب يحتج فيه بأعذار فارغة لأنه رجل كما تعرف مراوغ . قد تكدر جداً لعدم دخولك يوم العيد وقال للخادم الذى ناولته الكرت جاء ولم يدخل فقال له قلت لحضرتة سيدنا موجود فقال شوف يا عربجى قال السيد ميسررش معلش وكررها مرتين وظهر عليه الزعل وسكت ملياً وليلتها قال للمغيرة جاء فلان ولم يدخل وأعطى كرت فانا أرسل له مثلها مع الضوى فقال المغيرة لا يصح ذلك هل هو أرسل لك مع خادمه أو جاء بنفسه فمثل حضوره سيدنا يمر عليه ويترك مثلها. ومع ذلك ليس من الصواب تزعل مع رجل مثله لأنه هو ممكن يزعلنا فقال السيد سأفعل كده. فهل حضر عندك. أم لا.. كذا أمى تهنيك بالنشان وبتسلم عليك كثيراً ومنى إليك ملايين الملايين من السلام.

صفيته

## عزيزى على يوسف

كنت أحب أولاً أحسب حساب البربرى وبعد أسمح لك  
بالمقابلة لكن من باب الشفقة عليك وإنى قدرة أقبلك فد سمحت  
لك لكن لم أسمح لك فى كلامك السالف فاتفق مع حسين على  
الليلة التى تحب تحضر فيها وهو يفهمك كيفية حضورك وعلى  
الساعة الذى تجيى فيها.

لازم يكن معك الخاتم الذى أخبرتتى به وإلا على كيفك  
واتعبك ولا أمكنك منى، بل ولا أكلمك وأنت المخير. اقتضى  
رأى السادات أن آخذ درس عربى وفرنساوى ثانى مع معلمى  
السابق وأخبرك لما تجيى غدا اسمه.

وسأتعلم معه درس فى حساب البربرى لأن يظهر إنك  
متعلق فعار على لعدم معرفتى تلك الحساب لنكون مثل بعض.  
مش كيده ولا إيه يا على والسلام ختام .

صفية

## عزيزى الأعز الأوحد على يوسف

بعد إهداء جزيل السلام. من أعلم المخلول بتلك  
الجواب يظهر أنك أنت. لا تقول للوالد على المصاغ ولا تبدى  
له أقل إشارة لربما يدرك أن لك علم أو دخل فى الجواب لكن  
لا تتكر منى إن كنت أخبرته ليلة حضورك لأن بلغنى كنت  
تتكم مع الوالد سرا، أخبرنى على أى أمر ليلة وجودنا بمنزل  
المخلول قالت قرينته أمام الوالدة مصاغى بعته جميعه لربما  
يتصل للوالد كلام فأجابتها ولما تقولى ذلك نحن مالنا دخل فى  
حاجتك وسكتت.

رأيت العزبة<sup>(١)</sup> على رأس بنت أخيه.

عزيزى.. مرسى<sup>(٢)</sup> الحلق الذى أشرت عند قلمنك  
وطاويك ولا يخف على ذلك الشكل حلاقين (حلقين) برلنتى  
دورات كفية.

هناك نزل بجانب الشبايبك مع واحدة. فما وجدتك  
فتأسفت جداً فلمحنى المخلول من القزاز فجاء وقال لى الياور  
بتاعك كان هنا قليلى حبك له شوية، قلت وهو نزل عليه  
وصى بحضورى جاء ليزورك فقال كل مقابلة معك يأخذ بها  
خبر الولد الخادم بيقلق. قلت فى أين يراه فضحكت إنك مخلول

(١) هكذا جاء فى الأصل ولعل العزبة معنى مفهوم نو دلالة خاصة لديهما  
فقط.

(٢) هى كلمة Merce بالفرنسية.

---

وتركت واقف بغير ما أسلم عليه . وانت السبب في مقابلته  
معي لأن كنت قويا لا أقابله حتى لو كان أرسل مع قرينته .  
أرجوك لا تذكرني له دائما ولا تسأله قابلتها أم لا أنا  
أخبرك ، لما تسأله معناها غير واثق بي أو بما أقول .  
إن كنت تحبني وحببتك صحيح ولا تحب تزعلي  
وتحافظ على إحساساتي لا تزور منزل البابلي مطلقا أبدا أبدا .  
ضروري تروح عنده أو في ضمن واجباتك زيارته .  
عزيزي قرينته وبناته يصفوك بالخلل والخرف  
والجنون ووجهك ردي ( لا تأخذني ) فانا والوالدة لا نقبل نسمع  
في وجهنا عليك كلام في ذلك . إن كنت أنت تقبل على نفسك  
خيرا ، أما نحن لا .. لا .. لا .  
نعم المخلول يكلمني عليك لكن في جهة ملنا لبعض  
وكلامه من باب الغيرة . بأمره وصفك بشيء رديء أمامي ولا  
وصل لي عنه كنت والله شتمتني . والوالدة بتسلم عليك كثير  
ومنى لك السلام عد وزن مثاقيل الجبال ودمتم

صفتك

### عزيزى الأ مجد على يوسف

أخذت كتابك فكان أكرم وارد وأعز وافد. وحيث أن  
سفرك المبارك هذا العام لإتمام تلك المهمة فلا يحتاج الأمر  
لشهور طوال لأن إقامة الجنب ليست طويلة فى لندرة. فبعد  
إتمامها لماذا تقيم . فتلك الإقامة عبسا منك وهل متوجه أيضا  
إلى الأستانة أم لا.

أخبرك حضر أمس لعند السيد الشيخ محمد راضى  
فكلمه السيد بشأن المسألة وإن يريد يرجع الأشياء لصاحبها  
وو.. إلخ، فأجابه الشيخ ما هو صالح لك ومدحك للغاية وخص  
السيد فى تأخره ومنعه عن رد الأشياء الآن ومن ضمن كلامه  
الشيخ معه قال سمعت أنه سيطلبها منك مرة أخرى فإن لم تجبه  
يخبر الخديوى يطلبها منك. له فقال السيد إن قلت لفلان لا ما  
يمكنى أقول للجنب العالى لا وبالاختصار لم يزل السيد مصمم  
على رد ما عنده.

ثم إنى ألزمك كما أنك تلزم السيد الصغير بجيئ للسيد  
اليوم أو غدا يقول له عن لسانك الكلام الآتى فلان يقول إن  
كنت تريد ترد له الأشياء لا يأخذهم إلا على يد الجنب العالى  
فابقهم عندك لحين عودتهم من أوربا تعطيهم له شرطا على يد  
الخديوى. ثم فهم المخلول يفسد حاله من تلقاء نفسه كل زواج  
بنت تعمل لك هتيكة وجرسمة. والذى افكره السيد يرد الأشياء  
فى غيبة الجنب فما أحسنها فكرة. ومنى لك ألف قبلة فى ألف  
سلام.

صفية

## إلى مالك روحى وحامل عرشى

أيها الحبيب شرفنى كتابك الأنور ومطلع كما لك  
 الأزهر المسطر بألفاظ أشهى من السلسيل فانتعشت روحى  
 كانتعاش آدم عند نزول الروح فى جسده وقال الحمد لله.  
 حبيبى وروحى نعم رأيت أمس فكرة وأتقدم لك  
 بعروس جميلة لطيفة (وأنت تقول لى قلبك يعلم من تخطبين بك  
 حاجة، ذلك دبوس فى قلبى إلخ) أنا ما فهمت من هى التى  
 تعنيها بذلك الأوصاف والأقوال ومن هى خطيبة قلبك التى  
 ستكون أسعد الخلق بك وإننى أحسدها على ذلك (يا ليتنى كنت  
 أنا) فعرفنى عنها لا تقرب إليها وأخطبها لا ربح ذلك الربح  
 ومن لا يرضى بأجرة مثل ذلك ولكن لا لا لا أعد ذلك  
 الصفقتين قليلين جدا جدا جدا.

فى جانب تعبى فى الحصول عليها ولما تعرفنى عنها  
 أقترح عليك أجرتى وحبذا لو قدرت تفى بها ولكن من إنصافى  
 لك فى قارىتها عند تقديمى لك ذلك العروس المتناهى فى  
 وصفها وأما أنا لا أفكر حتى أراها، ترى تستحق أم لا وهل  
 الوصف فى محله أم من كثرة حبك فيها تراها كما ذكرت فى  
 عينيك كما هى فى قلبك .

صفية

## مولاي الأعز الأوحـد

صباح الخير يا سيدى. أسأل عن صحتك يا غاية  
مطلبى وأرسل لك مرتبك الذى طلبته منى كل لحظة لا كل  
صباح، فخذ من صفيه كيف تشأ فهى ملك لك تُصرف كيفما  
تحب لا معارض لك فيها.

عزيزى أنا لا أقول إبنى أحب وأرحم وأحسن وأشفق  
وصاحبة وفاء وعهد وميثاق بملايين من المراحل قد هؤلاء  
الثلاثة التى ذكرتهم لى وما واحدة منهم أطاعت محبتها وحبيبها  
مثلى وقد قرأت قصصهم فى الكتب. ما احتراماً يقدر يتجاسر  
أو يستطيع أو أو ... إلخ يتشرفك حتى ولو اجتمع أهل السموات  
والأرض ما يقدرُوا إلا إذا كنت أنت تشرف نفسك ونفسى منى.  
ولكن كيف ذلك تسمح نفسك إبنى أهلك يا على أنا الحارسة  
الأمينة لا أسمح لك ولا لغيرك مهما كان أموت نفسى ولا ذلك.  
لا يلام أخبرك أن أصحابى زرونى ولا بد أنت توجهت  
عندهم تسألهم على وأنى أرسل لك فى الختام التحايا والشوق  
والسلام كما يشاء القلبان.

صفية

## حضرة العزيز

كنت وعدتكم أمس برد الجواب الأول. أولاً عدم المكاتبة ليس بباب النسو والهجران إنما عدم فضي وأنتم تعرفون . وثانياً كلام والدي هو حق ليس فيه كذب وأنتم أدرى ولا أقدر أشرح له كلامكم ولا إن إشارة خفيفة أن الوافد أتى ليفتكر شيئاً بيننا فتكون منكم أحسن، وأما المسألة (المسألة) المفهومة لا نكن إلا بعد ما ترسلها مع عبد الرحمن أفندي. بعض كلام من الذي أخبرك به والدي وبعض كلام من الذي أخبرني به المفهوم وبذلك يمكن تقدر تتكلم بها بواسطة عبد الرحمن أفندي في المسألة ولا تخبرها بشيء إلا بعد متشوف كلامها يكون بأى سيغة "صيغة" وأما المقابلة ما عندي وقت لأن والدي يركب في الغروب. فكيف تكن والجواب وصل وليس وقت لتتكلّم عليه الآن

مفهوم

## عزيزى على يوسف

أولا محبك يهنيك بحلول عيداً سعيداً وعمراً مديداً  
 وإنجاب قريباً. بحبى عندك تخبرنى من قال لك على تلك  
 الجملة ومع ذلك لا أصدق أقوال السيد وقوله لك حاضر فيما  
 تركه ، ما علم قط من الخطاب أنا كنت خريصة وأعطته للولد  
 نقله لا سأله من الكاتب له، وبعد أخذت الصورة الذى بخطك  
 أما تلك الحاشية لا تفكر فيها، ما لها أهمية.  
 عندى علم أن أورى الخطاب لخليل وأخيه ومنى لك  
 ألف سلام.

## أخوكم ومحبتكم

بعد خروجك أمس قال السيد لخليل من حضر ليخبرنى  
 أن تسال مصطفى صادق، فوجد المسألة تمام وأن البكرى أخذ  
 حجتين خفاف بدل الذى باعه وأنا مصدق قوله فقال خليل نعم  
 ظاهر على البكرى لكن يحاول.

صفية

ما هذا الكلام وأما تعتذر ، فانا أنتظركم يوم الخميس  
وما تحضر وتتكس الوعد وكمان أرسلت لكم مع مرسى  
لتزورنا يوم الثلاث تقول عندى شغل فيوم الأربعاء وما هذا  
الشغل، ومع ذلك أنا غير موجودة بالمنزل هذا اليوم فإذا أحببتكم  
تزورنا يكون يوم الثلاث. وهذه آخر فرصة ولا يمكن آخر  
وعلى هواك تعرف شغلك على رأى الدور، فانت بخير والسلام  
وختام.

مفهوم  
صفية

## عزیزى على یوسف

تشرفت بعزیز کتابك وقد فهمت ما شرحته وأنا ما  
أسلم قلبى للاطمئنان مقدا الآن وانى اؤكد عليك جدا لا تثق  
باقوال زید او باخبار عمرو . لابد أنك زرت أصحابى أمس  
وماذا قالت لك مریانة.

أمس لیلاً بین الساعة الثانية والثلاثة بعد نصف کدت  
أقوم منصرفة فی السریر وذلك بعد أن نمت الساعة الحادی  
عشرة تقرباً تنبهت فی ذلك الميعاد وأنا مفتحة عینای. تصور  
لی أنك بجانبی تقبلنی وتقول حبيبى حیاتی. إلی هنا وما قدرت  
أمسك القلم تركته ووضعت المنديل على عینای ونکفیت على  
الطریزة أبكى وكان صدی صوتك اللین اللطیف یصل لأننى  
فتنبهت لنفسى فما وجدت إلا أنا لوحدى، فخفت وهمیت للقیام  
ولكن تجلدت وما وجدت شیئ یفرج على قلبى إلا البكاء وقد  
ظلمت لطلوع الفجر وأنا أبكى وانقلب على جنبى وما أقول إلا  
ربنا یعوض صبرى خیراً.

أخبرنى ماذا سمعت عن القضية بعد أن کتبت لی أمس.  
لما یحضر عزب العرب غدا (إذا كان یحضر) یقول  
أولا أريد أتقابل مع الست، فلما أجیئ أكلمه یقول لی القضية  
محتاجة أن توکلى البک الفلاتی لأن کذا وکیت. ولا یظهر لأحد  
أنى عندى علم بذلك. وأنا ستأجاهله وأسأله لماذا الآن. لا أحب  
أن أحد یشعر أنى عندى علم بذلك. ومنى إلیک ملايين القبل،  
قبل اللیل الذى تصورتها والسلام ملايين.

صفیه

## عزیزى على یوسف

بعد التحية والسلام. بماذا أخبرك المخلول عن السيد  
وما هي أفكاره وأين تفهمه لك . لو كان الجناب العالى يرسل  
للسيد جواب يهنه بعد لا يقدر يفعل شيئا هل ممكنك . ماذا ترى  
ولكن أعرف بالتحقيق ممكنك ذلك فقط أنت.... ومع ذلك أنت  
المخير . بلغنى أنك مسافر صحيح. رأيت الأشياء والطفهم  
وأخفهم المؤيد. المسلوب أوصل لك كلام من عند الوالد.  
رأيت العمارة يوم الإثنين وكانت عربتك أمام منزل  
حماده بعد الغروب وأرجوك تقدنى عن أمر أفكارك والسلام  
ختام.

مفهوم

## عزى على يوسف

أهنيك أولا بقدومك بالسلامة من الثغر الإسكندري.  
 وأمس حررت لك خطابا بالبوطة باسمك لمصر فهل وصل .  
 ثم قرأت فى مقطم أمس أن الجناب العالى سيسافر لأوروبا بين  
 ٨ و ١٢ يونيو وكنت أريد أن تحسموا المسألة قبل سفره لأجل  
 لو تحرك الرجل يكون أمامنا جنابه وهل حقيقى قرى المقطم  
 أم لا.

أمس خرجت للعباسية وكنت آمل النفس برويتك  
 فخاب آمالها ولم يسمح للزمان لها لتراك، وقد دخلنا خيمة  
 الصغير المعدة للحريم لأن زوجته وأمه بها ولم نمكث إلا قليلا  
 جدا ولم أر الصغير إلا وهو جالس فى الصوان وكنت واسمة  
 فقط.

إنى أذكر لك كل مرة أن ليلة ما توجهنا لمنزل  
 الصغير كان الرجل ليلتها سهر فى منزل فم الخليج مع...  
 وكل بضعة أيام يسهر هناك. ماذا عندك من الأخبار الأخيرة  
 مع الجناب.

ومنى إليك الملايين من السلام والملايين من القبل  
 ودمتم.

عليك











٩٠١  
: اهتزت مصر في صيف سنة ١٩٠٤ بزواج الشيخ على يوسف من صفية  
: السادات فقد رفض والدها الشيخ عبد الخالق السادات الاعتراف بهذا الزواج،  
: ورفع دعوى تفريق بينهما بحجة عدم كفاءة على يوسف لمصاهرته. وتحول  
: الزواج إلى أزمة سياسية داخل مصر وخارجها، وبحثت هذه القضية بين  
: القاهرة واستانبول ولندن، فقد كان على يوسف - رئيس تحرير المؤيد -  
: صديقاً للخديوى عباس حلمى الثانى ومن المقربين إلى السلطان عبد الحميد وحاشيته  
: وخصماً للاحتلال البريطانى. وقد وجد خصوم الخديوى القضية فرصة لإحراجه،  
: لذا وقف الزعيم مصطفى كامل ضد على يوسف، وكذلك الشيخ محمد عبده.  
: يرصد الكتاب نشأة العلاقة بين الشيخ على وصفية منذ سنة ١٩٠١ وتطورها حتى  
: الزواج، ويكشف الكتاب نصوص الرسائل العاطفية المتبادلة بين الحبيبين والزوجين  
: فيما بعد. ظلت هذه الرسالة حبيسة لمائة عام، حتى أفرجت عنها السيدة بثينة على  
: يوسف.

٦٨ رسالة غنية بتفاصيل هذه العلاقة وتفاصيل المجتمع المصري عندئذ في  
: أوائل القرن العشرين.



ميريت

للنشر والمعلومات